

892.46.5h9986a57-1

جلد
مالح القفر
بموت سال الزرعة

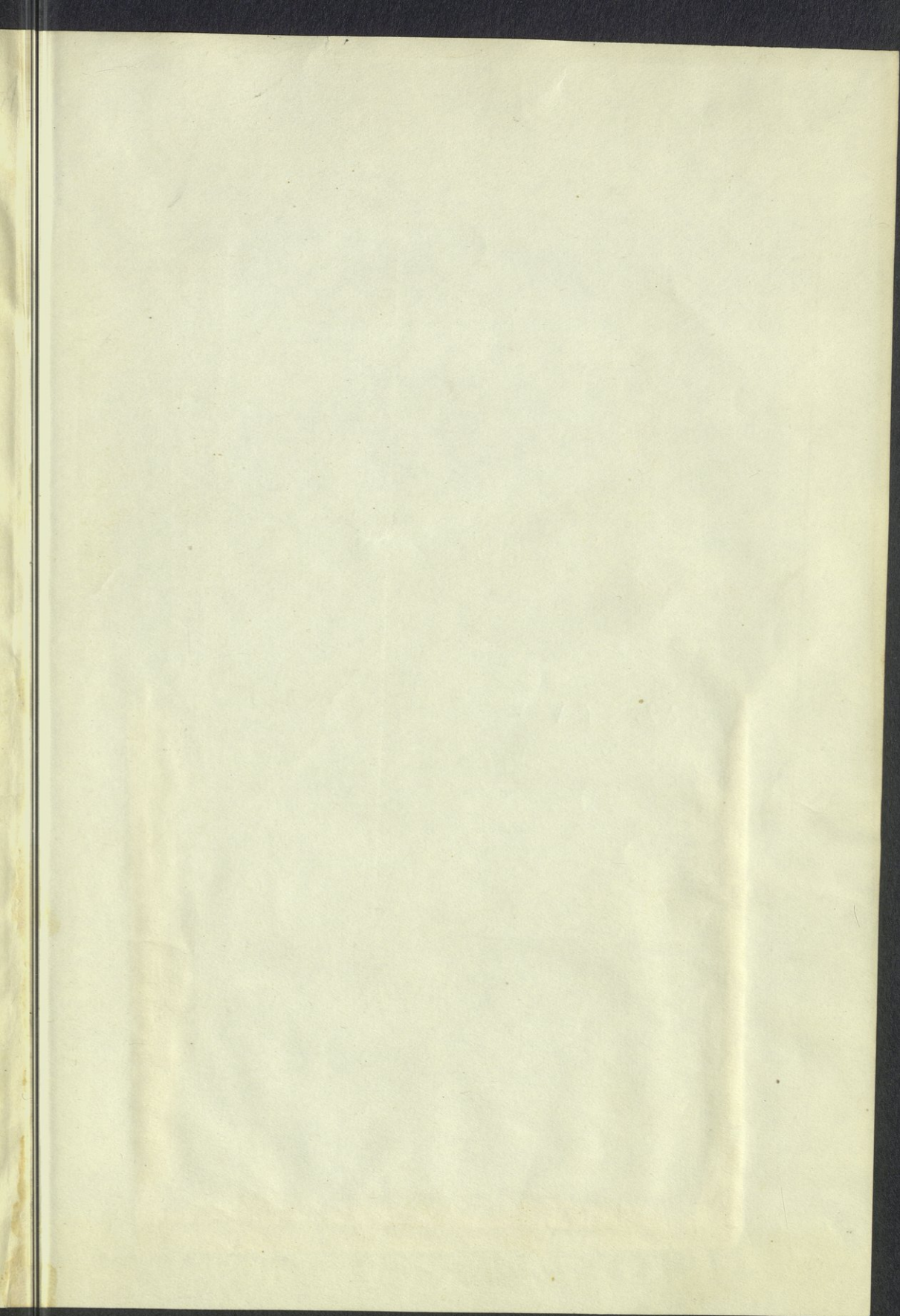
فصل في

الدين

الدين

الدين

الدين



892.74
Sh53244

أسواق الذهب

—

892.78
Sh5985a1A
C.1

تأليف

أحمد شوقي

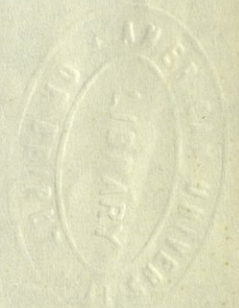
١٣٧٠ - ١٩٥١

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شاع نوبار باشا رقم ١٢

ملتزم الطبع والنشر

المكتبة التجارية الكبرى: شغل محمد علي بمصر

حقوق الطبع محفوظة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي عَلَّمَ بالقلم ، وألهم نوابغ الكلم ، وجعل الأمثال والحكم : أحسن أدب الأمم . وصلى الله وسلم على محمد ديمة البيان المنسجمة ^(١) ، وعلى موسى الحكيم وعيسى الكلمة ^(٢) .

وبعد ؛ فهذه فصول من النثر ، وما زعمت أنها غرر زياد ^(٣) ، أو فقر الفصيح من إياد ^(٤) ، أو سجع المطوقة على فرع غصنها المياد ^(٥) ، ولا توهمت حين أنشأتها أني صنعت « أطواق الذهب » ، للزخشرى ^(٦) ، أو طبعت « أطباق الذهب » ، للأصفهاني - وإن

(١) الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . والمنسجم : السائل المنصب

(٢) الحكيم : لقب موسى لأنه كلم الله . والكلمة : لقب عيسى ، عليهما السلام .

(٣) زياد بن أبيه من أشهر خطباء الدولة الأموية .

(٤) هو قس ابن ساعدة الإباضي ، ويكاد يكون أخطب خطباء الجاهلية .

والفقر : جمع فقرة ، وهي من النثر بمنزلة البيت من الشعر .

(٥) المياد : الكثير المديد . والميد : الميل والتحرك .

(٦) أطواق الذهب ، وأطباق الذهب : كتابان من كتب المقامات في الوعظ والإرشاد ، وكلاهما في عليا مراتب البلاغة : الأول لجار الله الزخشرى . والثاني للعلامة الاصفهاني عليهما رحمة الله .

سُمِّيَتْ هَذَا الْكِتَابُ بِمَا يُشَبِّهُ أَسْمِيَهُمَا ، وَوَسَمْتُهُ ^(١) بِمَا يَقْرُبُ فِي الْحَسَنِ مِنْ وَسْمِيَهُمَا - وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَاتُ اشْتَمَلَتْ عَلَى مَعَانٍ شَتَّى الصُّوَرِ وَأَغْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ الْخَبَرِ ، جَلِيلَةٍ الْخَطَرِ ؛ مِنْهَا مَا طَالَ عَلَيْهِ الْقِدَمُ ، وَشَابَ عَلَى تَنَاوُلِهِ الْقَلَمُ ، وَالَّذِي بِهِ الْغُفْلُ ^(٢) مِنَ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ ^(٣) . وَمِنْهَا مَا كَثُرَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَأَصْبَحَ يَعْرِضُ فِي طُرُقِ الْأَقْلَامِ وَتَجْرِي بِهِ الْأَلْفَاظُ فِي أَعْنَةِ ^(٤) الْكَلَامِ ؛ مِنْ مِثْلِ : الْحَرِيَّةِ وَالْوَطَنِ ، وَالْأُمَّةِ ، وَالذُّسْتُورِ ، وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَكَثِيرٍ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شُؤْنِ الْمُجْتَمَعِ وَأَحْوَالِهِ ، وَصِفَاتِ الْإِنْسَانِ وَأَفْعَالِهِ ، أَوْ مَالِهِ عِلَاقَةٍ بِأَشْيَاءِ الزَّمَنِ وَرَجَالِهِ ؛ يَكْتَفُ ذَلِكَ أَوْ يَمْتَزِجُ بِهِ : حِكْمٌ عَنِ الْأَيَّامِ تَلْقِيئُهَا ، وَمِنْ التَّجَارِيِبِ اسْتَمْلِيئُهَا ، وَفِي قَوَالِبِ الْعَرَبِيَّةِ وَعَيْتُهَا ^(٥) وَعَلَى أَسَالِيهَا حَبْرُهَا وَوَشْيُهَا ^(٦) ؛ وَبَعْضُ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ قَدْ نَبَعَ مِنَ الْقَلْبِ وَهُوَ عِنْدَ اسْتِجْمَامِ عَفْوِهِ ^(٧) ، وَطَلَعَ فِي الذَّهْنِ وَهُوَ عِنْدَ تَمَامِ

-
- (١) وَسَمَ الشَّيْءَ : جَعَلَ فِيهِ أَثْرًا . وَالْوَسْمُ : الْآثَرُ وَالْعَلَامَةُ .
 (٢) الْغُفْلُ : الْمَجْهُولُ .
 (٣) الْعِلْمُ : الْمَقْدَمُ .
 (٤) أَعْنَةُ : جَمْعُ عَنَانٍ .
 (٥) وَعَى : حَفِظَ .
 (٦) حَبْرُ الْكَلَامِ وَوَشَاهُ : حَسَنُهُ وَزِينَتُهُ .
 (٧) اسْتَجْمَمَ الْمَاءُ اسْتِجْمَامًا : كَثُرَ وَاجْتَمَعَ . وَالْعَفْوُ مِنَ الْمَاءِ : مَا فَضَلَ عَنْ الشَّارِبَةِ وَأَخَذَ مِنْ غَيْرِ كَلِمَةٍ وَلَا مَزَاحِمَةٍ .

الْحَقِيقَةُ الْوَاحِدَةُ^(١)

يَا مُتَابِعَ الْمَلَا حِدَةٍ ، مُشَايِعَ الْعُصْبَةِ الْجَا حِدَةٍ ، مَنْكَرَ الْحَقِيقَةِ
الوَاحِدَةِ : مَا لِلْأَعْمَى وَالْمَرَأَةِ ، وَمَا لِلْمُقْعَدِ^(٢) وَالْمِرْقَاةِ^(٣) ، وَمَا لَكَ
وَالْبَحْثَ عَنْ اللَّهِ ؟

قُمْ إِلَى السَّمَاءِ تَقْصَّ^(٤) النَّظَرَ ، وَقُصِّ الْأَثَرَ^(٥) ، وَاجْمَعْ الْخُبَرَ
وَالْخُبَرَ^(٦) . كَيْفَ تَرَى اثْتِلَافَ الْفَلَكَ ، وَاخْتِلَافَ النُّورِ وَالْحَلَاكِ^(٧)
وَهَذَا الْهَوَاءَ الْمَشْتَرَكِ ، وَكَيْفَ تَرَى الطَّيْرَ تَحْسِبُهُ تُرِكَ ، وَهُوَ فِي
شَرَكِ^(٨) ، اسْتَهْدَفَ فَمَا نَجَا حَتَّى هَلَكَ^(٩) ، تَعَالَى اللَّهُ ! دَلَّ الْمُلُوكَ عَلَى

(١) الْحَقِيقَةُ الْوَاحِدَةُ : وَجُودُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَعَلَّ الْمَؤَلَّفَ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ
لَيْدٍ : « أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ » .

(٢) الْمُقْعَدُ : الَّذِي يُشْكُو الْقَعَادَ : وَهُوَ دَائِمٌ يَقْعُدُ الْمَصَابُ بِهِ عَنِ الْمَشْيِ .

(٣) الْمِرْقَاةُ : السُّلْمُ .

(٤) أَرْسَلَهُ إِلَى أَقْصَاهُ .

(٥) قَصَّ الْأَثَرَ : اقْتَفَاهُ .

(٦) الْخُبَرُ : الْإِخْتِبَارُ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْخَبَرُ : الرِّوَايَةُ بِالسَّمَاعِ .

(٧) الْحَلَاكُ : الظَّلَامُ .

(٨) تَقَنَّهُ حَرًّا طَلِيقًا ، وَهُوَ أَيْنَمَا حُلَّ فِي مُتَنَاوِلِ قَبْضَةِ الصِّيَادِ .

(٩) اسْتَهْدَفَ : أَصْبَحَ غَرَضَ السَّهَامِ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يَنْجُو مِنْ سَهْمٍ مَصُوبٍ

إِلَيْهِ حَتَّى يَدْرِكَهُ الْمَوْتُ مِنْ سَهْمٍ آخَرَ .

الملك ١ . وقِفْ بالأرضِ سَلَهَا من زَمٍّ (١) السحابَ وأجراها ،
ورَحَلَ (٢) الرياحَ وعَرَّأها (٣) ، ومن أقعد الجبالَ وأنهَضَ ذُرَاهَا (٤) ،
ومن الذى يُحِلُّ حُبَاهَا (٥) ، فتَخَيَّرَ له فى غَدٍ جِبَاهَا ؟ أليس الذى
بدأها غَبَرَاتٍ (٦) ، ثم جمعها صَخَرَاتٍ ، ثم فَرَّقَهَا مُشْمَخِرَاتٍ (٧) ؟ .
ثم سَلَّ النملَ مَنْ أَدَقَّهَا خُلُقًا (٨) ، وَمَلَأَهَا خُلُقًا (٩) ، وَسَلَكَهَا طُرُقًا (١٠)
تَبْتَغِي رِزْقًا ؟ وسَلَّ النحلَ مَنْ أَلْبَسَهَا الحَبِيرَ (١١) ، وَقَلَّدَهَا (١٢) الإِبْرَ
وأطعمَهَا صَفْوَ الزَّهْرِ ، وَسَخَّرَهَا طَاهِيَةً (١٣) للبشر ؟ لقد نبذت

-
- (١) زم الناقة : خطمها .
(٢) رحل البعير : شدَّ على ظهره الرحل تمهيدا للسير .
(٣) عزَّأها : جرَّدها مما فيها من أمطار .
(٤) أقعد الجبال : ثبَّت قواعدها فى الأرض . وأنهض ذراها : أى رفع عاليها
شاحنة فى السماء .
(٥) يحل حبها : أى يفكها من حبوتها وينفضها من ربضتها .
(٦) غبرات : جمع غبرة - بتسكين الباء - وهى ذرة الغبار .
(٧) فرقها : فى الأرض . ومشمخرات : أى باذخات .
(٨) أدقها : صيَّرها دقيقة .
(٩) خلق النمل : تلك النظام المتسقة التى يوحى لها بها الإلهام .
(١٠) سلكها طرقا : جعل لها طرقا تسلكها .
(١١) الحبر : جمع حبرة كعنبه ، وهى برود يمنية مازونة ، وقد شبه بها المؤلف
تلك الألوان الزاهية التى يتخيل بها النحل تحت أشعة الشمس .
(١٢) قلده السيف : وضع حماله فى عنقه .
(١٣) طاهية : طابخة تطبخ للناس فى بطونها عسلا .

الذلول (١) المسعفة (٢) ، وأخذت في معامى (٣) الفلسفة ، على عشاء من الضلال مسعفة (٤) . أولاً فخرتني : الطبيعة من طبعها (٥) والنظم (٦) المتقدمة من وضعها ، والحياة الصائغة من صنعها ، والحركة الدافعة من الذي دفعها ؟ ! عرفنا كما عرفت المادة ، ولكن هدينا وضللت الجادة (٧) ، وقلنا مثلك بالهوى (٨) . ولكن لم نجد اليد الطولى (٩) ، ولا أنكرنا الحقيقة الأولى (١٠) . أتينا العناصر من عنصرها (١١) ، ورددنا الجواهر إلى جوهرها (١٢) ؛ اطرَحنا (١٣) فاسترحنا

-
- (١) الذلول من الدواب : ما كانت سهلة القياد ، والمراد بها هنا الشريعة السمحة
 (٢) المسعفة : التي تسعف أبناءها باليقين والإيمان .
 (٣) المعامى : المجهول .
 (٤) العشاء : العمياء . وأعسف : خبط في السير .
 (٥) طبعها : خلقها ، وهنا يبدأ المؤلف في تعجيز الملحدين .
 (٦) النظم المتقدمة والحياة الصائغة والقوة الدافعة ، وكل هذه قوى يظن الملحدين كفراً أنها هي الأصل في الكائنات .
 (٧) الجادة : الطريق القويم .
 (٨) الهوى : مادة ، وشبه الاوائل طينة العالم بها .
 (٩) اليد الطولى : يد الله التي أبدعت هذه الطينة ونفخت فيها الروح .
 (١٠) الحقيقة الأولى : وجود الله .
 (١١) العناصر : جمع عنصر ، وهو أولاً بمعنى المادة البسيطة ، وثانياً بمعنى الأصل وأتيناها : أى بحثنا فيها .
 (١٢) الجواهر : جمع جوهر ، وهو الحجر يستخرج منه شيء يفتفع به . والجوهر ثانياً بمعنى الأصل والجملة .
 (١٣) اطرَحَ الحمل : ألقاه عن عاتقه ، والمقصود من هذه الجملة وما بعدها : آمنا =

وَسَلَّمْنَا فَسَلِّمْنَا ، وَأَمَّنَّا فَأَمِّنَّا ؛ وما الفرقُ بيننا وبينك إلا أنك
قد عَجَزْتَ فَقَلْتَ : سرُّ مِنَ الأسرار . وعَجَزْنَا نحن فَقَلْنَا : الله وراء

كُلِّ سِتَار ١١

== بالله وتركنا ما دون هذا من التفكير العقيم الذي لا نهاية له والبحث الضال الذي
لا يؤمن فيه العثار ...

الوَطَنُ

[حبّ الوطن والتفاني في سبيله سجية كل نفس كبيرة . وقد أوحى هذه العاطفة بأعظم ما حفظه لنا التاريخ من المآثر وجليل الاعمال ، وأبلغ ما جادت به القرائح من روائع الآيات والأقوال .

ولقد طالما أشاد المؤلف ، في شعره بذكر الوطن وتغنى بوصف آثاره الخالدة بقصائد تضمن لها بلاغتها من الخلود ما لتلك الآثار . ولطالما استخلص من بيانه سحرا أحيا مفاخر الآباء والاجداد ، فبعثها من لحود الاجيال الغابرة تتمثل عظمتهاروعتها للأبناء والاحفاد .

لم يقف المؤلف ، من آثار وطنه وقوف العرب على الطلول يبيكها ويرثها ، بل مسحها بدموع قلبه ليحييها ويستوحيا . فجعل من تغنيه بما كان من المفاخر للوطن في الغابر من الزمن حُداءً منه للخلف لاحذاه آثار السلف .

ولو جمع جامع ما قال المؤلف في مفاخر الوطن من يوم قال منذ ثلاثين سنة :

وبنينا فلم نُخلِّ لبانٍ وعلونا فلم يَجْزُنا عِلاءُ

لاجتمع لديه خير سفيرٍ شامل للدروس الوطنية .

وهذه القطعة من الشعر المشهور أنشودة عذبة للوطن جمع فيها كأنها جميع الانغام التي يثيرها ضرب الوطنية الصادقة على أوتار القلوب كما سديته في ما نعلقه عليها من الحواشي [:

الوطن موضعُ الميلاد ، ومجمعُ أوطارِ الفؤاد ، ومضجعُ الآباء

والأجداد (١) ، الدنيا الصغرى ، وعتبة الدار الأخرى ، الموروث
الوارث ، الزائل عن حارث إلى حارث ، مؤسس لبنان ، وغارس
لجان . وحى من فان ، دواليك حتى يكسف القمران ، وتسكن هذى
الأرض من دوران .

أول هواء حرك المروحتين (٢) ، وأول تراب مس الرّاحتين ،
وشعاع شمس أغترق العين ؛ مجرى الصبا وملعبه ، وعرس الشباب
وموكبه ، ومراد الرزق ومطلبه ، وسماء النبوغ وكوكبه ، وطريق
المجد ومركبه ؛ أبو الآباء مدّت له الحياة فخلد ، وقضى الله الأبقى

(١) جاء في مقدمة الجزء الأول من الشوقيات : « إنها مصر ، بلادى ، وهى
منشأى ومهادى ، ومقبرة أجدادى ؛ ولدلى بها أبوان ، ولى فى ثراها أب وجدان ،
ويعبض هذا تحبب إلى الرجال الأوطان . والوطر : الحاجة والغرض . والحارث :
الزارع . ودواليك : أى مداولة بعد مداولة .

تناول الكاتب فى هاتين الفقرتين وصف الوطن عن طريق التحديد ، وهو كما حدده
ابن سينا فى رسائله : الحد الجامع المانع ، أى الوصف المحيط بمعنى المعترف المميز له عن
غيره . فوصف الوطن بأؤسس اللباني ، والغارس للجاني ، وبمجرى الصبا وملعبه ،
وعرس الشباب وموكبه ... إلى غير ذلك من الأوصاف ، كما وصفه بموضع الميلاد .
ومضجع الآباء والأجداد ، وأول هواء حرك المروحتين ، وأول تراب مس الرّاحتين
إلى غير ذلك من الأوصاف المانعة المميزة له عن سواه . وهكذا جاء بخواص المعترف
وأوصافه وأعراضه التى من شأنها أن تبين حقيقة .

(٢) المروحتان : الرتان . والراحتان : الكفان . واغترق العين : أى شغلها عن

النظر إلى غيره .

له ولد ؛ فإن فاتك منه فائت فاذهب كما ذهب أبو العلاء عن ذكر لا يفوت ، وحديث لا يموت .

مدرسة الحق والواجب ، يقضى العمر فيها الطالب ، ويقضى وشىء منهما عنه غائب ؛ حق الله وما أقدمه وأقدمه ، وحق الوالدين وما أعظمه ، وحق النفس وما ألزمه ؛ إلى أخ تُصفه ، أو جار تسعفه ، أو رفيق في رحال الحياة تتألفه ، أو فضل للرجال تُزينه ، ولا تزيقه ^(١) ، فما فوق ذلك من مصالح الوطن المقدمة ، وأعباء أماناته المعظمة ؛ صيانة بنائه ، والضمانة ^(٢) بأشياءه ، والنصيحة لأبنائه ، والموت دون لوائه ؛ قيود في الحياة بلا عدد . يكسرهما الموت وهو قيد الأبدي .

رأس مال الأمر فيه من كل ثمر كريم ، وأثر ضئيل أو عظيم ، ومُدخِر حديث أو قديم ؛ ينمو على الدرهم كما ينمو على الدينار ، ويربو على الرذاذ كما يربو على الوايل المدرار ، بحر يتقبل من السحب ويتقبل من الأنهار . فيا خادم الوطن ماذا أعددت للبناء

(١) زيف الرجل : صغره وحقره .

(٢) الضمانة بالشئ ، كالضن به : البخل والحرص عليه .

تناول الكاتب في هذه الفقرة حقوق الوطن على أبنائه أو واجبات الوطنيين نحو وطنهم ففصلها أجمل تفصيل ، دون أن يفوته وصف كل حق بوصفه الملازم : من حق الله وحق الوالدين وحق النفس إلى حق الإخوان وسائر أبناء الوطن : مجموعة حقوق يتألف منها حق الوطن على كل إنسان ، ولو أدى القيام بهذا الحق إلى التضحية بالنفس دفاعاً عن الوطن . ثم قال : إن هذه الواجبات ينبغي للإنسان القيام بها في جميع أدوار الحياة ، فلا يعتق منها إلا بالمئات .

من حَجَر ، أو زِدَتْ في الغنَاء من شَجَر ؟ عليك أن تبلغَ الجُهد ،
وليس عليك أن تَبْنِي السدَّ ؛ فإنما الوطن كالْبُنْيَانِ فقيرٌ إلى الرأسِ
العاقلِ ، والساعدِ العاملِ ، وإلى العتبِ الوضيعة ، والسقوفِ
الرَّفِيعَةِ ، وكالروضِ محتاجٍ إلى رخيصِ الشَّجرِ وثمانِهِ ، ونَجِيبِ
النباتِ وهجينِهِ ، إذ كان ائتلافُهُ في اختلافِ رياحينِهِ ، فكلُّ ما كان
منها لطيفاً مَوْقِعَهُ ، غير نابٍ به موضعه ، فهو من نوابغِ الزَّهرِ
قريب ، وإن لم يكن في البديعِ ولا الغريبِ (١) .

حظيرة (٢) الأعراضِ والعروضِ ، ومحرابُ السننِ والفروضِ ،
سيدُ الأديمِ ، صفحاته التاريخِ الكريمِ ، وبوغاؤه عِظَمُ الأبوةِ وإنه

(١) الرذاذ : المطر الضعيف والمال القليل . والوابل المدرار : المطر الشديد
الضخم القطر . والتجيب : الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان . والهجين : مَنْ
أبوه خيرٌ من أمِّهِ . ونابٍ : أى نافر .

يريد : أن كل إنسان مهما ارتفع شأنه أو اتضع مكانه قادرٌ على خدمة الوطن
بل هو مطالب بتلك الخدمة . فعمد موقفاً إلى التشبيه والاستعارة فقال إن البناء محتاج
إلى العتب الوضيعة والسقوف العالية وإن الروض لا يتم بهاؤه وجماله إلا بمختلف
الأزاهير والرياحين .

وقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب فقال : فيا خادمَ الوطن ماذا أعددتَ ...
وهو التفات بليغ .

(٢) الحظيرة - فى الأصل - مأوى الإبل والغنم . والأعراض جمع عرض وهو
المتاع . والعروض : جمع عرض وهو الشرف . البوغاء : ما يثور من الفبار ودقاق ==

لعظيم ، وعلى جوانبه الدولة وهي حَسَبُ الأُمَمِ الصِّمِيمِ ؛ وثُمَّ كَرَامَةُ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وهي غَوَالٍ ، وثُمَّ ثَمَرَاتُ الرِّجَالِ وَضَنَائِهِمُ اللَّاتِي
خَلْفَ الْحِجَالِ . فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَجْحَدُ الْوَطَانُ الْجَاهِدَ ، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّ
الْأَرْضَ كُلَّهَا وَطَنٌ وَاحِدٌ ؛ قَضِيَّةٌ تُضْحِكُ السَّمَلَ فِي قُرَاهَا ، وَالنَّحَلَ
فِي خَلَايَاهَا ؛ وَتَسْتَبْهِمُ عَلَى الطَّيْرِ فِي أَوْكَارِهَا ، وَعَلَى السَّبَاعِ فِي
أَحْجَارِهَا ، وَيَنْبُكُ عَنْهَا السَّمَكُ إِذِ اتَّخَذَ مِنَ الْبَحْرِ وَطَنًا شَائِعًا ،
فَوُلِدَ مَهْدُورًا وَعَاشَ ضَائِعًا ، صَغَارَهُ طَرَائِدُ ، وَكَبَّارُهُ مَوَائِدُ ،
وَيَتَصَيَّدُ بَعْضُهُ بَعْضًا إِنْ أَبْطَأَ الصَّائِدُ .

وَالْوَطَنُ شَرِكَةٌ^(١) بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، وَبَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْغَابِرِ ،
لَا يَرِثُ لَهَا عَقْدٌ ، وَإِنْ تَطَاوَلَ الْعَهْدُ ، مُؤَسَّسَةٌ بِالْمَهْدِ حِينًا وَبِاللَّحْدِ ؛
يَدْخُلُ فِيهَا الْمِيلَادُ ، وَلَا يُخْرِجُكَ مِنْهَا النِّفَادُ ، فَقَدْ تُضَرِّمُ النَّارَ

= التراب . والضنَّان : جمع ضنيَّة ، وهو ما يُضَنُّ بِهِ . والحِجَالُ : جمع حَجَلَةٍ ، وهي
ستر العروس داخل بيتها .

يُفَنِّدُ الْكَاتِبُ مَزَاعِمَ أَصْحَابِ مَذْهَبِ اللَّاوْطَنِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْأَرْضَ جَمِيعَهَا وَطَنٌ
لِلنَّاسِ جَمِيعًا . وَضَرَبَ السَّمَكُ فِي الْبَحْرِ : مَثَلًا لَضَرَرِ الشِّيعَةِ فِي الْوَطَنِ . وَقَرَى النَّمْلُ
وِخْلَايَا النَّحْلِ ، وَأَوْكَارَ الطَّيْرِ ، وَأَحْجَارَ السَّبَاعِ : أَمَا كُنْهَا وَمَنَازِلَهَا .

(١) كُنِيَ عَنْ ارْتِبَاطِ حَاضِرِ الْوَطَنِ بِمَاضِيهِ بِشَرِكَةٍ مَعْقُودَةٍ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ .
يَرِثُ : يَبْلِي . وَيُرِيدُ بِإِضْرَامِكَ الْمَارِ وَأَنْتَ هَامِدٌ كَالرَّمَادِ ، وَبِإِحْيَائِكَ الدِّيَارَ بَعْدَ خُرُوجِكَ
مِنَ الْحَيَاةِ : أَنَّ الْأَمْوَاتَ كَثِيرًا مَا يَكُونُونَ بِمَثَلِ حَيَاتِهِمُ الْعَالِي أَكْبَرَ حَامِلٍ لِلْأَحْيَاءِ
عَلَى حَمِيدِ الْفِعَالِ . وَبِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ أَحَدُ فَلَاسِفَةِ الْفَرَنْجَةِ : يَتَأَلَّفُ الْوَطَنُ مِنَ الْأَمْوَاتِ
أَكْثَرُ مَا يَتَأَلَّفُ مِنَ الْأَحْيَاءِ .

وأنت هَامِدٌ كالرَّمَادِ ، وقد نَحْيَا بك الدِّيَارُ وأنت بَوَادٍ والحياةُ بَوَادٍ .
والوطنُ مستودَعُ المفاخرِ ، وصَوَانُ المآثرِ ، وَخِزَانَةُ الأَعْلَاقِ
والذِّخَائِرِ ، لكلِّ مُتَقِنٍ منها مَوْقِعُهُ ، ولا يَنْبُو بِصَالِحٍ فيها مَوْضِعُهُ ؛
الهرمانُ لديها معظَّمَانِ ، « وشيخُ البلد » شيخُ الصَّنَاعَةِ على الزمانِ ؛
وعندها سَيْفٌ « على » ومغَارِسُهُ ، وقَنَاةٌ « إسماعيل » ومدَارِسُهُ ،
وفيهما القَصَائِدُ الباروديَّةُ ، وليس فيها الخطبُ النَّدِيمِيَّةُ ؛ تلك لقُرْبِهَا
من كلامِ الحِكْمَةِ ، وهذَى لُبْعِهَا عن الإِتْقَانِ والحِشْمَةِ ؛ فيالكِ
خِزَانَةُ تُمَيِّزُ الصَّحَّاحِ مِنَ الزِّيُوفِ ، وتَعْرِفُ الضَّيْفَنَ مِنَ الضِّيُوفِ ،
وتَحْجُبُ العَصِيَّ وتَأْذُنُ للسيُوفِ (١) .

صَحِيفَةُ الأَخْبَارِ ، وَكِتَابُ الأَبْرَارِ ، وَسِجِلُّ الإِهْمَمِ السِّكِّارِ ؛
أَسْمَاءُ المحْسِنِينَ فِيهِ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَفْعَالُهُمْ مَثَلٌ لِلخَلْفِ مَنْصُوبَةٌ ،
وَحُرُوفٌ بِمَاءِ الذَّهَبِ مَكْتُوبَةٌ ؛ فَإِذَا أَتَتِ السَّنُونُ ، وَدَارَتِ عَلَى
الرِّجَالِ المَنُونِ ، وَلَحِقَتْ بِالمُشَابِعِ الشَّيْعِ ، وَذَهَبَ المَتَّبِعُ وَالتَّبَعُ ؛

(١) صَوَانُ الشَّيْءِ : وَعَاوُهُ . وَأَعْلَاقُ الأَشْيَاءِ : نِفَاسُهَا . وَالزِّيُوفُ : الدَّرَامُ
المَغْشُوشَةُ . وَالضَّيْفَنُ : مَنْ يَجِيءُ مَعَ الضَّيْفِ مُتَطَفِّلًا .

والمَرَادُ : أَنَّ الوَطْنَ يَحْفَظُ مَآثِرَ الرِّجَالِ ، وَقَدْ ضَرَبَ مَا تَرَاهُ فِي المَنَنِ مِنَ الأَمْثَالِ
عَمَّا يَحْفَظُهُ الوَطْنُ المِصْرِيُّ لِلْمِصْرِيِّينَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ فِي الفَقْرَةِ التَّالِيَةِ مِنَ التَّخْصِيسِ إِلَى
التَّعْمِيمِ . وَشَيْخُ البَلَدِ : آيَةٌ مِنَ آيَاتِ أَنْ النِّحْتَ عِنْدَ قَدَمَاءِ المِصْرِيِّينَ ، يَجِدُهُ النَّاظِرُ فِي
دَارِ الآثَارِ . وَقَنَاةٌ إِسْمَاعِيلُ : قَنَاةُ السُّوَيْسِ . وَالبَارُودِيَّةُ : نِسْبَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ سَامِي بَاشَا
البَارُودِي . وَالنَّدِيمِيَّةُ : نِسْبَةٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ نَدِيمٍ .

ونامت الحرَّابُ^(١) عن الشَّموس ، وحِيلَ بين النارِ وبين المَجوس ؛
انفتح كتابُ الوطن من نفسه وإِذا الحسناتُ ثُمَّ على الصدقِ مُحصاة ،
فلا الحصاةُ دُرَّةً ولا الدُّرَّةُ حصاة ؛ وإِذا الرجالُ يُعَظَّمون على الأفعال ،
وإِذا الوقائعُ قد نُحِتَ منها الأبطال ؛ على قدر العمل يَأْتِي الجِزاء ،
وَيَقْدَرُ جمال الأثر يكونُ حسنُ الثناء .

وليس أَحَدٌ أَوْلَى بالوطنِ مِنْ أَحَدٍ ، فَمَا « باستور »^(٢) والشفاءُ
في مَصْلِهِ ، ولا « كَال » والحياةُ في نَصْلِهِ : أَوْلَى بأصلِ الوطنِ
وفصلِهِ ؛ من الأجيرِ المحسنِ إلى عِيَالِهِ ، الكاسبِ على أطفالِهِ ،
الفاسدِ الوطنِ بأشباهِهِ ، وهم رأسُ ماله ؛ فلا تَتَحَمَّدُ^(٣) على
الأوطانِ بآثارِ كرم ، وإن حَمَلَتْ عليها الهرم ، أو نَقَلَتْ إليها إرم ،
فإنك لم تَزِدْ على أن أَقمتَ جدارَكَ ؛ وحسَّنتَ دارَكَ ؛ ولا تنسَ أنها

(١) الحرَّابى : جمع حرباء : حيوان معروف يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلوَّن ألوانا .

(٢) « باستور » عالم كيمائى فرنسى (١٨٢٢ - ١٨٩٥) صاحب مباحث نظرية
الميكروبات فى الأمراض المعدية ، ومخترع المصل الواقى والشافى ، وهو من أكبر
الرجال الذين خدموا الإنسانية بعلبهم . « وكال » هو الغازى مصطفى كمال باشا أسد
أفقره وبطل تركيا المشهور . والقذاة : ما يقع فى العين ويوجعها . والسرْح : شجر :
وقد أبدع فى تشبيه مَنْ يَمُنُّ على الوطن بخدمته : بالشجرة التى ترتفع عن الأرض
وتعاطم عليها ، وهى إنما تمص منها مادة الحياة .

(٣) تتحمد : تمتن . وحمل عليه الشيء : ألحقه به . والهالة : دائرة القمر . وطَرَفَ
البصر عنه : صرفه .

الآلة التي رفعتك ، والهالة التي أطلعتك ؛ ولا تحجب ذات الوطن
بذاتك ، أو تطرف العيون عن وجهه بقذاتك ؛ ولا تكن كالسرح
العظيم إذ نسي خلقه إذ علا على الأرض وهي أمه ، ماؤها عصارة
عوده ، وطينها جرثومة وجوده ؛ حتى إذا ترعرع وكبر أخفاها
وظهر ، وحجب عنها الشمس والقمر ؛ خلعت عليه مانصر ورَفّ ،
والقى عليها ما يبس من الورق وجفّ .

والوطن لا يتِمّ تمامه . ولا يخلص لأهله زمامه ؛ ولا يكون
الدار المستقلة ، ولا الضيعة الخالصة الغلة ؛ ولا يقال له البلد السيد
المالك ، وإن تحلّى بالقباب الدول والممالك ؛ حتى يُجمل العلم فيه يد
العمارة . ويجمع له بين دولاب الصناعة وسوق التجاره ^(١) .

فيا جيل المستقبل ، وقبيل الغد المؤمل ؛ حاربوا الأمية فإنها
كسح الأمم وسرطانها ؛ والثغرة التي تُؤتى منها أوطانها ؛ ظلمات

(١) رف النبات اهتز . والدولاب : الآلة . والكسح : دام في اليدين والرجلين
يثقلها عن الحركة .

وقد انتقل الكاتب من الوصف والتحديد البياني إلى ذكر الدعائم التي تبنى عليها
عظمة الوطن ويشاد عليها صرح استقلاله وهي العلم والتجارة والصناعة ، وحذر بنوع
خاص من أنصاف الجهال أو أنصاف المتعلمين كما حذر من الجهل . ومناسبة ذكر
« باستور » في الفقرة السابقة بذكر أن هذا الرجل العظيم كان يقول « قليل من العلم
يبعد عن الله ، وكثير من العلم يعيد إلى الله » .

يَعْرِدُ فِيهَا خُفَّاشُ الْأُسْتَبْدَادِ ، وَقَبُورُ كُلِّ مَا فِيهَا لَضْبَعِهِ غَنِيمَةٌ
وَزَادٌ ؛ وَتَذَرُّعُوا ^(١) بِذَرَائِعِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ ، أَطْلُبُوهُ فِي مَدَارِسِ
الزَّمَانِ وَحَلَقَاتِهِ ، وَخَذُوهُ عَنْ جَهَابَتِهِ وَثِقَاتِهِ ؛ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَنْصَافَ
الْجُهَّالِ : لَا الْجَهْلَ دَفَعُوا ، وَلَا بِقَلِيلِ الْعِلْمِ انْتَفَعُوا ؛ وَبَنُوا الْوَطْنَ
الوَاحِدَ إِخْوَةً وَإِنْ ذَهَبَ كُلُّ فَرِيقٍ بِكِتَابٍ ، وَوَصَلَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْ
بَابٍ ؛ وَاتَّبَعَ أَنْاسُ الْإِنْجِيلِ ، وَأَنْاسُ اتَّبَعُوا التَّنْزِيلَ ؛ وَكُلُّ بِلَادٍ
تَسُوسُهَا حُكُومَةٌ فَاضِلَةٌ ، وَتَقِيدُهَا الْقَوَانِينُ الْعَادِلَةُ ، وَتَعْمُرُهَا جَمَاعَةٌ
عَاقِلَةٌ عَامِلَةٌ ، إِنَّمَا يُفَرِّقُ فِيهَا بَيْنَ الْوَطَنِ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ وَشُؤْنُهَا ،
وَالدُّنْيَا وَشُجُونُهَا ، وَالْحُكُومَةُ نُظْمُهَا وَقَانُونُهَا ، وَالْمَمْلَكَةُ سُهْلُهَا
وَحُزُونُهَا ، وَالْدُّوْلَةُ أَطْرَافُهَا وَحُصُونُهَا ؛ وَبَيْنَ الدِّينِ الَّذِي هُوَ السَّمَاءُ
الرَّفِيعَةُ ، وَالذَّرْوَةُ الْمُنْبِعَةُ ؛ وَلَايَةِ الضَّمَائِرِ ، وَسِيَاسَةِ السَّرَائِرِ ^(٢) .

وَمَا وَطَنُ الْمُحْسِنِينَ إِلَّا الْأُسْرَةُ الْكُبْرَى ، وَالسَّقْفُ الْوَاحِدُ ،
وَالْمَنْزِلُ الْحَاشِدُ ، الْقَوْمُ فِي ظِلَالِهِ ، عَلَى الْبِرِّ وَخِلَالِهِ ؛ إِخْوَانٌ
مُتَصَافُونَ ، وَأَهْلٌ مُتَنَاصِفُونَ ، وَجِيرَانٌ مُتَسَالِفُونَ ، قَصْدٌ فِي الْبَغْضَاءِ ،

(١) تَذَرُّعُوا : أَيِ تَوَسَّلُوا .

(٢) أَلَا يَكُونُ الدِّينُ دَاعِيَةً تَفْرِقُهُ فِي الْوَطَنِ ، وَلِلَّهِ دَرُ الْمَوَاطِنِ حَيْثُ يَقُولُ شَعْرًا

كَأَيُّهَا هُنَا نَثَرَا :

الدِّينُ لِلَّهِ مَنْ شَاءَ الْإِلَٰهُ هَدَى لِكُلِّ نَفْسٍ هُدًى فِي الدِّينِ يَعْنِيهَا

التَّنْزِيلُ : الْقُرْآنُ . الْحَزْنُ - مِنَ الْأَرْضِ : مَا غَلِظَ .

وَبُعْدُ عَنِ الشَّحْنَاءِ ؛ أَلْسَنَةُ عَفِيقَةِ الْعَذَابَاتِ ^(١) ، وَصُدُورُ نَظِيفَةِ
الْجَنَبَاتِ ؛ تَرَاهُمْ كَالنَّحْلِ إِنْ سُوِلَتْ عَمِلَتْ الْعَسَلُ ، أَوْ حُورِ بَتٍ
أَعْمَلَتْ الْأَسَلَ ؛ فَاطْبَعَ اللَّهُمَّ كِنَانَتَكَ عَلَى هَذَا الْغِرَارِ ، وَأَعِدْهَا
كَمَا بَدَأْتَهَا مَحَلَّةَ الْأَبْرَارِ . وَاجْعَلْ أَبْنَاءَنَا أَحْرَارًا وَلَا تَجْعَلْهُمْ
أَنْصَافَ أَحْرَارٍ .

رَبَّنَا وَانْزِلْهُمْ عَلَى أَحْكَامِ الْعُقُولِ وَقَضَايَا الْأَخْلَاقِ ، وَلَا تُخْلِلْهُمْ
مِنَ الْعَوَاطِفِ ، وَإِنْ كُنَّ عَوَاصِفَ ؛ وَلَا تَكِلْهُمْ لِلْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّهَا
هَوَاءٌ ؛ وَخُذْهُمْ بِرُوحِ الْعَصْرِ وَسُنَّةِ الزَّمَانِ ، وَاجْعَلْهُمْ حَفَظَةَ الْعَرْشِ
وَحَرَسَةَ الْبَرْلَمَانِ ^(٢) .

(١) العَذَابَاتُ : الْأَطْرَافُ . وَالْأَسَلُ : الرِّمَاحُ ، وَهَذَا بِمَعْنَى الْإِبْرَارِ . الْغِرَارُ :
الْمِثَالُ الَّذِي تَضْرِبُ عَلَيْهِ النَّصَالُ .

(٢) وَنَعَمْ مَا خَتَمَ بِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْوَنَامِ وَالتَّصَافِي حَتَّى تَعُودَ الْكِنَانَةُ إِلَى
سَابِقِ مَجْدِهَا . وَلَمْ يَكُنْ يَسْعُهُ أَنْ يَخْتِمَ نَشِيدَ الْوَطَنِ هَذَا دُونَ النِّقَرِ عَلَى وَتَرِ الْأَخْلَاقِ ،
وَهُوَ الَّذِي طَالَمَا دَعَا إِلَى الْأَخْلَاقِ ، بَلْ هُوَ الْقَائِلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ الْمَشْهُورَ الَّذِي لَا نَعْرِفُ
بَيْنَا كَانَ أَكْثَرَ مِنْهُ مَوْضُوعَ اسْتِشْهَادٍ لِلْكِتَابِ وَالْأَدْبَاءِ فِي رُبْعِ الْقَرْنِ الْمَاضِي :
وَلِنَمَّا الْأَمُّ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُوَ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

الْجَنْدِيُّ الْمَجْهُولُ

[تكريم الجندي المجهول : فكرة أوحى بها الرغبة في تمجيد البطولة الصامتة : البطولة التي تعمل في الخفاء ، ولعل هذه الفكرة أجمل ما ولدته الحرب الكبرى من الأفكار .

من هو الجندي المجهول ؟ وما هي حكايته ؟

اسمع تلك الحكاية ففيها عبرة وذكري :

أودت الحرب العالمية الأخيرة بآلاف الآلاف من الجنود البُسُل ، وكل منهم يدافع عن قومه وبلاده ، فسجلت أسماءهم على ألواح البرونز وقطع المرمر تخليدا لذكركم . ولكن هناك من بينهم مئات الألوف ماتوا كذلك ميتة الأبطال ولكن أسماءهم ضاعت لأن جثثهم الممزقة اختلطت بجثث رفاقهم فلم يكن من سبيل إلى تبين شخصهم أو تحقيق هويتهم ؛ لذلك أرادت فرنسا - وحذت سائر الدول حذوها - أن تختير واحدا من هؤلاء الأبطال المجهولين ترفعه إلى ذروة المجد وتقيم له من معالم التكريم ما لم تُقمه لا كبر الغزاة الفاتحين ، فتكرم في شخصه المجهول مئات الألوف من الأبطال الذين تنكرت جثثهم على الناس .

هذا منشأ تلك الفكرة البليدة ؛ فاسمع الآن كيف كان تنفيذها

في فرنسا :

كانت موقعة « فردان » أعظم موقعة دارت رحاها بين أعظم جيشين في العالم ، دامت شهورا طويلا وسالت فيها موج مئات الألوف على شطاي القنابل وخطي السيوف حتى أصبحت أرجاؤها جبانة مترامية الأطراف ومن القتلى الراقيين في ثراها تفرز آخيار الجندي المجهول ، فأخذوا من أنحاء ذلك الميدان العظيم ثمانى جثث لم تعرف لمن هي . اختاروا ثمانية من بين خمسمائة ألف قتيل ، ووضعت كل جثة في نعش ونقلت

النعوش الثمانية في ايل ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ إلى حصن « فو » حيث أوقدت حولها الشموع وقامت الجنود تحرسها ، ثم تقدم القائد وأشار إلى أحد جنود الفرقة ١٣٢ فخرج الجندي من الصف ودفع إليه القائد باقة من زهر القرنفل الابيض والاحمر : وقال له أن يدور دورتين حول النعوش الثمانية فيبقى بالباقة على نعش منها ، ففعل ، وما كاد يلقى زهرات القرنفل على أحد النعوش حتى عزفت المرسى بنشيد المرسليين ورفع الضباط سيوفهم للنحية . ومن تلك المقيمة أصبح الراقص في ذلك النعش مثال التضحية والنفاس ، وصار تكريمه تكريماً للمليون ونصف المليون من الجنود الذين قتلوا في الحرب دفاعاً عن فرنسا ووطنهم .

ثم نقل ليلاً إلى باريس . وفي اليوم التالي أقيم له احتفال تدرّ أن شهدت تلك العاصمة العظيمة ما يضارعه غمامة وأبهة وتأثيراً في النفوس ، مشى في موكبه الوزراء والقواد ورجال الدولة وعشرات الألوف من الناس تتقدمهم ٨٠٠ راية من رايات فرق الجيش المختلفة حتى وصلوا به إلى « قوس النصر » حيث قام ضريحه ، وعلى أثر ذلك أصبح الآباء والأمهات والأزواج والأخوات يحجون إلى هذا الضريح وكل يعتقد أن فيه ابناً أو زوجاً أو أخاً . وما زار باريس ملكٌ أو وزير أو كبير إلا عدّ من أول فروض المجاملة زيارة قبر الجندي المجهول وتحيته ووضع الزهر عليه .

وما كان المؤلف أن يترك مثل هذا الموضوع بلا جولة تخياله فيه ، وقد أراد أيضاً أن يضع زهرة من زهر أدبه الرائع على ضريح الجندي المجهول ، فكتب هذا الفصل :

ذلك الغُفْل في الرَّمَم ، صار ناراً على عَلم ، جمعَ ضحايا الأمم ،
كأجمع الكتابة القلم ، أو الكتيبة العَلم ^(١) .

(١) الغفل : ما لاعلامه ولا سِمة فيه ، وهو أيضاً الشاعر المجهول أو الكنايب =

تمثال من إنكار الذات ، والفناء في بقاء الجماعات ، وصورة من
التضحية المبرأة من الآفات ، المنزهة عن انتظار المكافأة ، وهيكـل
على الواجب من عظام أو رفات ؛ تقرأ على صفحاته العجب العاجب
تفسير الجلالين من موتٍ وواجب . وتنتقل من آية إلى آية ، وترى
كيف جرى الإيثار للغاية . وكيف سالت النفوس على جنبات الرؤية .
ولا يعلم إلا الله لمن الجيفة المحظوظة ، أو تلك البقايا المصونة
المحفوظة ؛ الرعديد ، أم لصنديد ؟ ولبطل مشوق ، أم لمكره
مسوق ؟ ولشيطان استعماري ، أم هي لربّي حوارى ؟ ولمغمور
من سواد الجند ، أم لمأثور من بيض الهند ؟ وهل كانت لبدة
أسامة ، أم كانت جلدة النعامة ؟ وهل هي هيكل المتنبى أم وعاء
أبي دلّامة (١) .

= الذي لم يسمّ واضعه . والزّمة - جمعها رمم ورمام : العظام البالية : أى إنّ هذه الجثة
المجهولة بين الجثث قد أصبحت عنوان الشهرة ورمز الضحية كما فصل ذلك
في الفقرة التالية .

(١) المحظوظة : من حظّ : كان ذا حظ . والرعديد : الجبان الكثير الارتعاد .
والصنديد : السيد الشجاع . والمغمور : المجهول الخامل النسب ، وغمره القوم : علّوه
شرفاً . والرّبيّ : واحد الرّبيين ، وهم الجماعة من الناس . والحوارى : ناصر الانبياء .
وأسامة : الأسد ، وهو مضرب المثل في الشجاعة كما أنّ النعامة مضربه في الجبن : أى
أنّ الله وحده يعرف لمن هذه الجثة التي كان لها كل هذا الحظ في التكريم : أم هي جثة
رجل كريم عظيم ؟ أم جثة واحدٍ من سواد الناس ؟ .

وكيف تعرفُ جثة نكرتها الأيام ، وسارت الأرض فيها سنتها
في الرمام ، إلى أن وقعت عليها يدٌ في الرجام ، كما تقعُ على النصيب
الرايح يدُ الغلام ؛ فخرجت بها من غمرة الرمم ، وحفرة الأمم ،
وبؤرة العدم ^(١) .

وإذا هي تنفصل عن سواد الهامدين ، وتتصل بالافراد الخالدين ؛
تهجرُ مغمورات الكفور ، وتعمُرُ مشهورات القبور ؛ وبين ذلك
جنازة للعصر حولها ضجّة ، وللأرض تحتها رجّة ، مواكبها ملء
اليبس واللجة ؛ أعلامٌ منكوسة ، وقنا صمٌ ، وكتائب خرس ،
وأنغامٌ محزونة ، ودموعٌ مذروقة ؛ وملوكٌ أو رُسُلُ ملوك ، وبرقٌ
يروح ويغدو في السلوك ، وينعى الزاجلية والألوك ؛ فهل شيعت
نابليون ، أو ولنجتون ، وهل بلغت هوجو الباثيون ؛ سوى الحظُّ
بين هؤلاء ، وبين ذلك النكرة في الأشلاء ، وأجزل للقيط الموقى من
العطاء ، كما يجزل أحيانا للقطاء ^(٢) .

(١) الرمام : جمع رمة كما تقدم . والرجام - جمع رجم - : القبر . والغمرة : المزدحم ؛
أى أن الحظ أصابه حين اختاروه من بين الألوف من الجثث ، كما تقدم في وصف
الحفلة التي أقيمت لاختيار الجندى المجهول .

(٢) ملء اليبس واللجة : أى تسير برأ وبجرا . السكينة الخرساء : الفرقة من
الجند لا يسمع لها صوت لوقار أهلها في الحرب . والبرق الذى يغدو وبروح في
السلوك : هو الرسائل التلغرافية . والزاجلية : الحمام الزاجل حمام الرسل . والألوك
والألوكه : الرسالة . وهذا وصف المواكب التي أشرنا إليها يوم نقل رفات الجندى =

إِسْأَلُ الْعَصْرِ : فِيمَ نَبَشَ الْقُبُورَ ، وَقَلَّبَ الْهَامِدِينَ الْبُورَ ، مَنْ
أَجَلَ هَذَا الشَّلُو الْمَتَبُورَ ؛ حَتَّى أَلْتَقِطَهُ بِيَدِ الْحِظِّ الْوَهُوبِ ، أَوْ يَدِ
السَّيَّارَةِ الْمُبَارَكَةِ عَلَى ابْنِ يَعْقُوبَ ؟ (يُجِيبُكَ) : أَلَيْسَ كُلُّ مَنْ شَهِدَ
النَّفِيرَ الْعَامَ فَهُوَ ذَائِدُ الْوَطَنِ وَحَامِيهِ ! وَكُلُّ مَنْ وَجَدَ فِي الْحَفِيرِ الْجَامِعِ
فَهُوَ مُشْتَرِيهِ بِمَهْجَتِهِ وَفَادِيهِ ؛ مَجْهُولٌ بِذَلِكَ الْمَجْهُودِ ، وَجَادٌ بِالنَّفْسِ وَذَلِكَ
أَقْصَى الْجُودِ ، فِي مَوْطِنٍ سَوَى بَيْنِ الْقَائِدِ وَالْمَقُودِ ، وَالسَّائِدِ
وَالْمَسُودِ ، تَوَحَّدَتِ النَّارُ وَتَشَابَهَ الْوَقُودُ ؛ وَمَا حَمَلَ أَعْيَاءَ الْجِهَادِ مِثْلُ
الْمَيْتِ ، كَالْأَسَاسِ دُفِنَ فَكَانَ قَوَامَ الْبَيْتِ .

كُلُّ حَيٍّ يَمُوتُ ، وَكُلُّ ذَخِيرَةٍ تَفُوتُ ، وَكُلُّ رَاحِلٍ عَنْ قَوْمِهِ
وَإِنْ وَجَدَهُمْ بِالْأَمْسِ شَيْئًا فَالْفُ ، أَوْ نَكَرَاتٍ فَعَرَّفَ ، وَخَلَّفَ فِيهِمْ
مَنْ فَضَّلَ مَا خَلَّفَ ، لَا يَسْلَمُ عَلَى الْمَوْتِ مَنْ حَاسِدٌ يَزُورُ فِي الصَّحِيفَةِ ،
أَوْ حَاقِدٍ يَتَشَفَّى بِالْجَيْفَةِ ؛ فَيَا لَكَ مُضْعَعَةً تَقْرُضُ الْكَفْنَ الْجَدِيدَ ،
وَتَسْبِقُ الدُّودَ إِلَى الصَّدِيدِ ، إِلَّا هَذَا الْجَنْدِيُّ الْمَجْهُولُ ، فَقَدْ خَلَّتْ

= الْمَجْهُولُ إِلَى قَوْسِ النَّصْرِ . وَ « نَابُولِيون » : بَطْلُ فَرَنْسَا الْكَبِيرِ وَأَشْهُرُ الْقَوَادِ
الْعَسْكَرِيِّينَ . وَ « وَلَنْجَتُون » : مِنْ مَشْهُورِي قَوَادِ الْإِنْجِلِيزِ : اكْتَسَبَ شَهْرَةً بَعِيدَةً
بِإِنْصَارِهِ عَلَى نَابُولِيونَ فِي مَوْقِعَةِ وَاتْرَلُو . وَ « فَيْكْتُورْ هُوجُو » : هُوَ أَشْهُرُ شُعْرَاءِ
فَرَنْسَا فِي الْقَرْنِ النَّاسِعِ عَشَرَ . وَالْبَانْثِيُونُ : اسْمُ هَيْكَلِ أَقِيمَ فِي رُومَا الْقَدِيمَةِ لِتَكْرِيمِ
« جَمِيعِ آلِهَةِ » وَالْبَانْثِيُونِ الْمَعْنَى بِهِ هُنَا : هُوَ الصَّرْحُ الْعَظِيمُ الْمَشِيدُ فِي بَارِيسِ الَّذِي
يُضَمُّ رِفَاتَ مَشْهُورِي الرِّجَالِ . وَالْأَشْلَاءُ : جَمْعُ شُلُو وَهِيَ الْأَعْضَاءُ بَعْدَ الْبَلِي .

جنازته من الهامس والهامز ، والغامط والغامر ؛ فقل لمن لم يعرفه
الناس : طوبى لك ، ما أنعم بالك ، وما أنقى كفنك وسربالك^(١) .

قبرٌ بين « حنية النصر » ، وبنية النسر ، وفوق طريق العصر ،
لو كان لعيسى ضريحٌ ، لقلت قبر المسيح ، كلُّ جريحٍ إليه يستريح ،
يقف به المحزون المهالك ، يقول « هذا كله قبر مالك » ؛ وكأنَّ كلَّ
أختٍ حوله الخنساء ، وتحت ذلك الحجر صخر ؛ وكلَّ أمٍ ذات
النطاقين أسماء ، وعبدُ الله في ذلك القبر^(٢) ؛ دروسٌ عاليةٌ تلقى على
الشباب ، تعلّمهم كيف جعل آباؤهم حمايةً الغاب ، فوق تفتان
الأحزاب ، وفتنة الأسماء والألقاب ؛ حتى قرب تقديس الوطن
الكريم ، من عبادة العلى العظيم ؛ وحتى تقربوا إلى الأوطان ، بالذبح

(١) أى كل ميت عمّ فضله لا يخلو من حاسد أو حافد يعمل على انتقاص قدره ،
إلا هذا الجندي المجهول فقد كان بئاً من الغمز والهمز .

(٢) حنية النصر أو قوس النصر : هو أنعم بناءٍ من نوعه قام في وسط ميدان من
ميادين باريس يتشعب منه اثنا عشر شارعا . وقد أمر ببناء هذا الصرح « نابوليون » ،
الملقب بالنسر ، ولهذا سماه المؤلف : بنية النسر . وكان ذلك في فبراير سنة ١٨٠٦ ،
ولم يتم فتحه إلا في يوليو سنة ١٨٣٦ . وعلاق هذا البناء ٥٠ متراً بعرض ٤٥ متراً
وسمك ٢٢ متراً . وهو مزين بأبهى النقوش وأجمل الرموز ، وقد حفرت عليها أسماء
مشهورى القواد والمواقع الكبيرة . وذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر الصديق ،
وقصة عبد الله بن الزبير حينما نصحته أمه أسماء بالمضى في الحرب بعد أن خذله أنصاره
وخاف من أن يمثل به الأعداء : معروفة .

المنكر ، كما ذَكَرَ اسم الله على القربان ، واسم القربان لم يذكر .
والمجدُ أبعدُ أسفار الرجال ، وله أزوادٌ وله رجال (١) ؛ جهادٌ
طويل ، وصبرٌ جميل ، وعقباتٌ بكلِّ سبيلٍ ؛ والجنديُّ المجهول
ما سار من الحُدِّ إلى الحُدِّ ، حتى رَقِيَ أسوارَ المجد ، ودخلَ مملكةَ
الحُدِّ ، وكان الطريقُ نقيًّا من الشوكِ وكلِّه ورد ؛ ذهبَ رَحِمَهُ الله
لا عن ولدٍ يرمينا بجنادلِ أبيه ، ولا أخٍ يسحبُ علينا أكَفانِ أخيه ،
وكفانا تَجَنَّى الشَّيْعَةَ ، وإدلالِ الصَّنِيعَةِ ، وكلِّ حرباءٍ يتسلَّقُ الناسَ
شجرًا إلى الشمس ، يعبدها على منابرهم من المهد إلى الرمس .

(١) الأزواد : جمع زاد . والرجال : جمع رحل ، وهو مركب البعير أو ما تحمله
في سفره من متاع .

قناة السويس

[كتب المؤلف هذه القطعة بمناسبة اجتيازه قناة السويس في طريقه إلى الأندلس التي اتخذها محل إقامة له لإبان الحرب . وهي درس جميل يبلغ في تاريخ مصر منذ أقدم العصور ، نسج فيها نثرا على المنوال الذي نسج عليه شعرا في قصيدته الحمزية المشهورة التي فذها إلى المؤتمر الشرقي الدولي الذي عقد في مدينة جنيفا في سبتمبر سنة ١٨٩٤ . ولئن أشار فيها أكثر من مرة إلى إسماعيل فلأن فتح هذه القناة تم على عهد ذلك الأمير العظيم بعد نذيل صماب كثيرة . وكان افتتاحها في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ م = ١٢٨٦ هـ . وقد دعا الخديو إسماعيل إلى هذا الافتتاح جميع ملوك أوربة وألوفاء من الأمراء والسفراء وأقطاب السياسة وحمله الأفلام وأرباب الفنون والصنائع والتجارة حتى ضاقت بهم القصور ، فنصب لهم في الصحراء ألف سرادق ، وأنزل الإمبراطورة أوجيني « عقيلة الإمبراطور نابوليون الثالث » وسائر الملوك وأمرأه الأسرات الملكية في قصر منيف شاده خصيصا لهم . وفي ١٦ نوفمبر أقيمت حفلة دينية أشترك فيها مشايخ الإسلام وأساقفة النصارى وكهنة اليهود . وفي الصباح التالي ابتداء الاحتفال بإطلاق المدافع ثم تقدم تحت الإمبراطورة « أوجيني » في القناة وتبعه يخط « فرنسوى جوزيف » إمبراطور النمسة ويخط « فردريك غليوم » أمير برسية ، فيمخوت سائر الملوك والأمراء فالسفن المقلدة للدعوق والمتفرجين وعددها ٦٨ سفينة . ولما بلغ اليخت الإمبراطورى بحيرة التمساح حيث ثلاثة مراكب حربية مصرية بإطلاق المدافع ، لجأوبتها مدافع البر وعزفت الموسيقى وهتفت الجماهير المحتشدة على الشاطئ من القبائل والأقوام المختلفة الجنسيات . وكان الخديو إسماعيل قد جمعهم في الإسماعيلية من كل أنحاء مصر والصحراء والسودان ومعهم

نساؤهم وأولادهم ونوقهم ومواسيهم وغزلانهم فكان منظر تلك الآلوف - من بدو وحضر ودراویش ومغاربة وسودانيين ... الخ بأزيائهم وألوانهم المختلفة - مشهداً فريداً في بابه قلباً أتمتع للعين أن تقع على مثله وفي ١٩ خرجت السفن من بحيرة التمساح إلى البحيرات المرة . وفي اليوم التالي بلغت البحر الأحمر قبيل الظهر بعد أن اجتازت القنال . ومن ذلك العهد فتحت هذه الطريق للمراكب :

تلكم يا أبنى القناة ، لقوم كما فيها حياة ، ذكرى إسماعيل ورياءه ،
وعلياً مفاخر دنياه ، دولة الشرق المرجاة ، وسلطانها الواسع الجاه ؛
طريق التجارة ، والوسيلة والمنارة ، ومشرع الحضارة ^(١) .

تعبراً لها اليوم على مزجاة ، كأنها فلك النجاة ؛ خرجت بنايين
طوفان الحوادث ، وطغيان الكوارث ؛ تفارق براً مغتصبه مضرى
الغضبة ، قد أخذ الأهبة ، واستجمع كالأسد للوثبة ، وتلاقى بجرأ
جنت جواريه ، ونزت بالشر نوازيه ، وتمثلت بكل سبيل عواديته ؛
مملوءاً ببيغيات الماء ، مترعاً بفجاءات السماء ؛ من نون ينسف الدوارع
أو طير يقذف البيض مصارع ^(٢) .

(١) ذكرى إسماعيل : راجع ما ذكرناه في التوطئة . والمشرع : المورد .

(٢) المزجاة : السفينة ، من أزجى الفلك : سافه وأجراه . ونزت : وثبت .
وطوفان الحوادث وطغيان الكوارث : يكتئبها عن ويلات الحرب الكبرى .
والغضبة المضرية : نسبة إلى مضر بن نزار أبو القبيلة المعروفة باسمه . والجوارى :
السفن . والنون : الحوت ، ويقصد به الغواصة . أى إننا نغادر اليوم براً نحكم فيه
الغاصب للثلاقى بجرأ بدت الولايات في كل جنباته : من غواصات تُغرق السفن ،
وطيارات تُلقى بالقذائف فيكون منها الموت .

فقلت : سيري عودتكِ بوديعة التابوت ، وبصاحب الحوت ،
وبالحى الذى لا يموت ؛ وأسرى يا ابنة اليمِّ زمامكِ الروح ، وربانك
نوح ، فكم عليكِ من منكوبٍ ومجروح (١) .

إنَّ للنَّفَى لَرَوْعَةً ، وإنَّ للنَّأى لَلْوَعَةَ ، وقد جرتُ أحكامُ القضاء ،
بأنَّ نَعْبَرَ هذا الماء ؛ حينَ الشرِّ مُضْطَرَم ، واليأسُ مُحْتَدِم ، والعدوُّ
منتقم ، والخِصْمُ مُحْتَكِم ، وحينَ الشَّامِتُ جَدْلان مَبْتَسِم ، يهزأُ بالدمعِ
وإنَّ لم يَنْسَجَمْ ، نفانا حَكَّامٌ عَجْم ، أعوانُ العدوان والظلم ، خَلَفْنَاهُمْ
يفرحون بذهب اللجم ، ويمرحون فى أرسانٍ يُسَمُّونها الحُكْم (٢) .

ضربونا بسيفٍ لم يَطْبَعُوهُ ، ولم يَمْلِكُوا أن يرفعوه أو يضعوه ؛
سأَحْهُمْ فى حقوق الأفراد ، وسأَحْوه فى حقوق البلاد ، وما ذنبُ
السيف إذا لم يَسْتَحِى الجَلَاد (٣) .

ماذا تهمسسان ؟ كفى أسمعكما تقولان : أى شئٍ بدأ له ، على
هذه الضاحية ؟ وماذا شجأ خياله ، من هذه الناحية ؟ وأى حُسْنٍ أو

(١) وديعة التابوت : هو موسى . وصاحب الحوت : يونس .

(٢) انسجم الدمع : سال . وكنى بذهب اللجم وأرسان الحكم . عن ذلِّ الحكومة
تحت الحماية .

(٣) طبع السيف : عمله وصاغه . والمراد أنهم اتخذوا الحكومة ذريعة فى يدهم
لإلحاق الأذى بنا ، وتركوا هذه الحكومة تفعل ما تشاء بحقوق الأفراد لأنها أباحت
لهم حقوق البلاد .

طِيب ، لِمَلَحٍ يَتَصَبَّبُ فِي كَثِيبٍ ؟ مَاءٍ عَكِرَ ، فِي رَمْلِ كَدِيرٍ ، قَنَاةٌ
حَمْمَةٌ ، كَانَهَا قَنَاةٌ صَدِئَةٌ ؛ بَلْ كَانَهَا وَعَبْرَتُهَا رِمَالٌ ، بَعْضُهَا مَتَمَسِكٌ
وَبَعْضُهَا مُنْهَالٌ ؛ وَكَأَنَّ رَاكِبَ الْبَحْرِ مُصْجِرَ ، وَكَأَنَّ صَاحِبَ
الْبَرِّ مُبْجِرَ (١) .

رَوَيْدِكَا لَيْسَ الْكِتَابُ بَزِينَةٌ جَلْدُهُ ، وَلَيْسَ السِّيفُ بِحَلِيَّةٍ غَمْدُهُ ؛
تِلْكَ التَّنَائِفُ ، مِنْ تَارِيخِكُمْ صَحَائِفَ ؛ وَهَذِهِ الْقِفَارُ ، كَتَبَتْ مِنْهُ
وَأَسْفَارَ ؛ وَهَذَا الْمَجَازُ هُوَ حَقِيقَةُ السِّيَادَةِ ، وَوَثِيقَةُ الشَّقَاءِ أَوْ السَّعَادَةِ ؛
خِيطُ الرَّقْبَةِ ، مَنْ أَغْتَصَبَهُ أَخْتَصَّ بِالْغَلْبَةِ ، وَوَقَفَ لِلْأَعْقَابِ عَقَبَةٌ ؛
وَلَوْ سَكَتْ لَنَطَقَتِ الْعِبَرُ ، وَأَيْنَ الْعَيَانُ وَأَيْنَ الْخَبَرُ ؛ أَنْظِرَا تَرِيَا عَلَى
الْعَبْرِينَ عِبْرَةَ الْأَيَّامِ : حِصُونٌ وَخِيَامٌ ، وَجُنُودٌ وَقُودٌ وَقِيَامٌ ؛ جَيْشٌ

(١) شجرا : حزن . والكثيب : التل من الرمل . والقناة الأولى : التربة . والثانية :
الريح . وحممة - مِنْ تَحْمَى الْمَاءِ : أَيْ خَالَطَنَاهُ الْحَمَاءُ فَكَدِرَ . والحماة : الطين الأسود
ومنه فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ ﴾ .
وصدئة - مِنْ صَدِئَ الْحَدِيدُ : أَيْ رَكِبَهُ الطَّبْعُ وَالْوَسْخُ . وَعَبْرُ الْوَادِي وَعَبْرُهُ :
شَاطِئُهُ وَنَاحِيَتُهُ . قَالَ النَّابِغَةُ فِي الْفَرَاتِ * تَرَى أَوَاذِيهِ الْعَبْرِينَ بِالزَّبَدِ *
وَأَوَاذِيهِ : أَمْوَاجُهُ . وَمُصْجِرٌ : سَافِرٌ فِي الصَّحَرَاءِ .

وصف القناة على لسان وَلَدَيْهِ كَمَا تَبْدُو لِلْعَيْنِ ، فَهِيَ فِي الظَّاهِرِ لَأَشْيَاءٍ سِوَى مَاءٍ
مَلَحٍ يَسِيلُ بَيْنَ الرَّمَالِ ، أَوْ كَأَنَّهَا بِمَائِهَا الْعَكِرِ رَمَحَتْ عَلَاهُ الصَّدَأُ مَلَقَى عَلَى الرَّمْلِ . وَلَكِنْ
يَجِبُ أَنْ لَا نَأْخُذَ بِالظَّوَاهِرِ كَمَا بَيَّنَّ الْكَاتِبُ ذَلِكَ فِي الْفَقْرَةِ التَّالِيَةِ الَّتِي رَدَّ فِيهَا
عَلَى وَلَدَيْهِ .

غيرنا فُرسانه وقَوَّاده ، ونحن بُعرانه وعلينا أزواده ؛ ديكٌ على غير
جداره ، خِلاله الجَوْ فِصاح ؛ وكلبٌ في غير داره ، انفرد وراء
الدار بالنباح ^(١) .

القناة وما أدراك ما القناة ؟ حظ البسلاد الأغر ، من التقاء
الأيض والأحمر ؛ يَد أنها أحلامُ الأول ، وأمانى الممالك والدُول ،
الفراعنة حاولوها ، والبطالسة زاولوها ، والقياصرة تناولوها ،
والعربُ لأمرٍ ما تجاهلوها ؛ إلى أن جرى القدرُ لغايته ، وأتى
إسماعيلُ بآيته ، فانفتح البرزخُ بعنانيته ، والتقى البهران تحت رايته ،
في جمعٍ من التيجان لم يشهده إكليسه ، قد كان يُتَوَجُّ فيه لو شهدته
جيوشه وأساطيله ؛ وما إسماعيلُ إلا قيصر ، لو أنه وُقِّق ، والإسكندر ،
لو لم يُخَفِّق ؛ تَرَكَ لكم عَزَّ الغد ، وكنزَ الأبد ، والمنجمَ الأحد ،

(١) التناثف - جمع تنوفة : وهى المفازة ، أو الأرض الواسعة التى لا أنيس بها .
والحجاز : المعبر والمسلك ، وهو فى البيان : اللفظ المقول من معناه الحقيقى إلى معنى
يلابسه . وفى قوله : « وهذا الحجاز هو حقيقة السيادة » تورية لطيفة . وخيط الرقبة :
نخاعها يقال : دافع عن خيط رقبة : أى عن دمه .
رد على ولديه فقال : لا تأخذوا بالظواهر ، فما قيمة الكتاب بغلافه ، ولا قيمة
الحسام بقرايه ، وهذه القناة الكدرة هى خلاصة تاريخ مصر ، ومن استولى عليها
فقد ضمن النصر ؛ لما لموقعها من الخطر . وقد عني بمن ذكر من الجنود : جيش
الاجنبى المحتل .

والوقف الذى إن فات الوالد فلن يفوت الولد (١) .

ماذا على هذه الرمال (٢) ، من لمحات جلال وجمال ؟ أرجعنا
القَهْقَرى بالخيال ، إلى العصر الخال ؛ وأعرضا فى حدائثها الأجيال ؛
تريا على هذا المسكان وجوهاً تتمثل ، وركاباً تنقل ، وترى النبوة
تتهلّل ، والآيات تنزل ، وترى الملك (٣) يترجل ، حتى كأنكما بالزمان
الأول ؛ فيها هنا وضع للنبوة المهدي ، وابتدأ بها العهد ، فأقبل صاحبُ
المقام ، ومُحطَّم الأَصنام ، وبنَّاء البيت الحرام ، خليلُ ذى الجلال
والإكرام . هاجر إلى مصر أكرم من هاجر ، ثم انقلب منها بأم

(١) النقاء الأبيض والاحمر : أى النقاء البحر الأبيض المتوسط والبحر الاحمر .
بواسطة قناة السويس ، وقد سبق المؤلف فنظم هذا المبنى شعرا فى همزيته المشهورة قال .

جمع الزاخرين كرها فلا كا نا ولا كان ذلك الإلتقاء

أحمر عند أبيض للبرايا حصّة الفطر منهما سوداء

البرزخ : قطعة أرض بين بحرين وقصر : هو يوليوس قيصر الرومانى الذى أحرز
مجداً عظيماً بانتصاراته وإصلاحاته . والإسكندر : هو إسكندر المقدونى الملقب عند
العرب بذى القرنين ، وهو مؤسس مدينة الإسكندرية المنسوبة إليه ويعتد من
أعظم الفاتحين .

كثيرون حاولوا نقض برزخ السويس من أيام الفراعنة - ولو كان فتح القناة
لم يتم إلا على عهد إسماعيل فى جمع من التيجان كما مر بك وصف الاحتفال فى المقدمة .
(٢) أخذ المؤلف يروى لولديه تاريخ تلك البقاع ، وهو درس تاريخى جميل بليغ
جمع إلى سرد الوقائع والحوادث شيئاً كثيراً من فلسفة التاريخ وعبر الأيام .

(٣) الملك : الملائكة .

العرب « هاجر » .

ومن هذه التنبّيات طلع يوسف يرسف في القيد ، وهو للسيارة (١)
يسير من كيدٍ إلى كيدٍ ؛ قلب جرحته الإخوة ، وجنب قرّحته
النسوة ؛ فيا لك يوسف من أسوة ؛ عزّ بعد هون ، ودولة بعد
المنزل الدون ، وشئون أقدارٍ وشجون ، وسهول حياةٍ وحزون ،
وسجوف القصور بعد السجون ؛ إلى سجد الشمس لك والقمر ،
والكواكب الآخر .

وإلى هذا الفضاء خرج موسى حين زيل زويله (٢) وطلبه قتيله ،
وزين له الإفّار خليله ؛ فوته هذه الرّمال فإذا الأمن سبيله . واليمن
دليله ، والسلامة زاملته (٣) والسلم زميله ؛ ولو أطلعه الله على غيبه ،
للمس النبوة بين يده وجّبه ، إلى أن رفّع له المنار ، واكتحل
بالنور وأقتبس من النّار ، وقيل له كن من الأحرار الأحرار ،
وارجع فسلط الحقّ على فرعون الجبار ؛ فكان عليه السلام أول من
اقتحم على الفرد جبروته ، وهتك على المستبد طاغوته ، وخطّم (٤)

(١) السيارة : القافلة .

(٢) زيل زويله : أى زال جانبه ذعراً وفرقاً .

(٣) زاملته : رافقته . وأصل « زامله » عادله على البعير في الحمل : أى كان هرفي

جانب وصاحبه في آخر

(٤) خطّمه : ضربه على أنفه .

المتأله وحطم عظموته ؛ ماء الحق على لطفه ، ظفر بنار الباطل على
عنفه ؛ ظهر العدل على الحيف . وكسرت العصا السيف .

وعلى هذه الأرض مشيت السماء الطاهرة ، والنيرة الزاهرة ،
والآية المتظاهرة ؛ أم الكلمة ^(١) ، وطريدة الظلمة ؛ سرحوا في عرضها
فأخرجوها من أرضها ، فضربت في طول الأرض وعرضها ؛ يوسف
حاديها ، وجبريل هاديها ، والقدس ناديها ، والطهارة أرجاء واديها ؛
وعلى ذراعها مصباح الحكمة ، وجناح الرحمة ، والإصباح من الظلمة ؛
حتى هبطت به أكرم الأديم ، فنشأ بين الحكيم والعليم . وترعرع
حيث ترعرع بالأمس السليم .

فيالك من دار ، ليعبت على عرصات الأقدار ، ناويت موسى ،
القريب ؛ وآويت عيسى ، الغريب ، نبوت بالنبي ، وجبوت الأمن
عيسى وهو صبي ، عذرك لا تنضى إليه المطى ، وإنما غضبت لابنك
القبطي ^(٢) .

ثم أنظرا تربا إبلا صعبا ، وخيلا عرابا ^(٣) ، وتريا الرعاة ^(٤)

(١) السيدة مريم

(٢) إشارة إلى القبطي الذي قتله موسى وغضبت له مصر فلم تقبل فيه من عذر

(٣) العراب : الكرائم

(٤) الهكسوس أو المنوك الرعاة

انقضوا على الوادى ذئابا ، فأخافوا القرى الآمنة ، وأخرجوا من مصر الفراعنة . واستبدوا بالملك فيها آونة .

وتريا الوحوش الضارية ، والجوارح الكاسرة ، يقودها شر الأكاسرة (١) ، ملأت هذه الفجاج (٢) ، وكأنها حرجات (٣) الساج ، أو حركات الأمواج ؛ ثم تدفقت تكتسح الديار ، باغية السيف طاغية النار ، تدك الهياكل والمعازل ، وتهتك العقائد والعقائل .

وتريا الإسكندر الكريم ، قد لمع كالصارم من هذا الصريم (٤) ؛ يحمل الحملات النجائب . ويفتح بالكتب وبالكتائب .

وتريا ابن العاص والصحابة ، مروا من هذه الأرجاء مر السحابة ؛ يفتحون للحق ، ويفتكون بالرق ؛ حتى أخلوا القصور من القياصرة ، وأراحوا مصر الصابرة ، من صلف الجبارة .

وتريا صلاح الدين يخفى كالبدرو يبدو ، ويروح كالغيث ويغدو ؛

(١) هو قبيز أحد ملوك الفرس حكم من ٥٢٩ إلى ٥٢٢ قبل المسيح ، وهو ابن قورش : فتح مصر واستبد بأهلها ، وقد ذكره المؤلف في قصيدة المؤتمر فقال :

لارعاك التاريخ يا يوم قبيز ولا طنطنت بك الانباء
دارت الدارات فيك ونالت هذه الامة اليد العسراء

(٢) مفردا فج : وهو الطريق الواسع بين جبلين

(٣) حرجات - جمع حرجة : وهى مجتمع الشجر . والساج : شجر يعظم جدا

وخشبه أسود

(٤) الصارم : السيف القاطع . والصريم : الرمل .

بُعُوثٌ بِلَا عِدَدٍ ، وَمَدَدٌ إِثْرَ مَدَدٍ ، وَذَخَائِرُ وَعُدَدٍ ، وَبَشْرَى كُلِّ يَوْمٍ
بِفُتُوحٍ جُدْدٍ .

وَتَرَيَا « نَابِلْيُون » قَدْ رَكَبَ طَيْشَهُ ، وَأَرْكَبَ الْغَرَرَ ^(١) جَيْشَهُ .
وَتَرَيَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَلِيٍّ مَشْهُورَ الْجُرَازِ ^(٢) ، مَوْفُورَ الْجِهَازِ ، مَلَكٌ
سُورِيَا وَضَبَطَ الْحِجَازَ .

وَتَرَيَا إِسْمَاعِيلَ بَعَثَ الْحَاشِرِينَ ، وَحَشَدَ الْحَافِرِينَ ، وَقَرَّبَ الْمَسَافَةَ
لِلْمَسَافِرِينَ ؛ غَيْرَ وَجَهَ السَّفَرَ ، فَقِيلَ : بَلَّغْ غَايَةَ الظَّفَرِ ، وَقِيلَ : وَقِعْ
الْحَافِرُ فِيمَا حَفَرَ .

ثُمَّ أَنْظَرَا الْيَوْمَ تَرِيَا الْقِنَاسَةَ فِي يَدِ الْقَوْمِ إِنْ أَمْنُوا رَكُزُوهَا ^(٣) ،
وَإِنْ خَافُوا هَزُوهَا .

الْقُرْبُ وَرَأَتْ عَيْنُهَا الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقِبْلَةَ وَفِيهَا الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ وَفِيهِ الْقَبْرَ الْحَقِيقِيَّ

(١) الخطر

(٢) السيف

(٣) ركز الرمح : غرسه في الأرض ، وفي القناة هنا تورية ، إذ تحتل معنى الرمح

وقناة السويس .

الذِّكْرَى

[هذه قصيدة من الشعر المنشور تغزل فيها المؤلف بالحرية وأهداها إلى روح صديقه المرحوم مصطفى كامل باشا بمناسبة ذكرى وفاته] :

قل لا أعْرِفُ الرِّقَّ ، وتقيّد بالواجب وتقيّد بالحقّ ؛ الحرية
وما هيّه ؟ « الحميراء » ^(١) الغالية ، فتنة القرون الخالية ، وطليبة
النفوس العالية ؛ غذاء الطبائع ، ومادّة الشرائع ، وأمّ الوسائل
والذرائع ؛ بنت العلم إذا عمّ ، والخلق إذا تمّ ، وريضة الصبر الجليل
والعمل الجمّ ؛ الجهل يثدّها ^(٢) ، والصغار تُفسدّها ، والفرقة
تبعدّها ؛ تكبيرة الوجود ، في أذن المولود ؛ وتحيّة الدنيا له إذا
وصل ، وصيحة الحياة به إذا نصل ^(٣) ؛ هاتِف من السماء يقول له :
يا ابن آدم ؛ حسبك من الأسماء عبدُ الله وسيّد العالم ^(٤) ، وهي القابلة

(١) الحميراء : يريد أنها حرام كالدم ، وصغرها للنظيم . وقد تكون إشارة إلى الروح التي يعبرون عنها بسريان الدم في الجسم

(٢) يثدّها : أى يدفنها حية

(٣) نصل : السهم خرج نصله والمراد خروج الولد من بطن أمه كخروج السيف من غمده

(٤) عبد الله : معناه أن الإنسان وهو في الدنيا لا يكون عبداً لإلاّ الله ، وهو سيد العالم المتنفّع بكل شيء فيه .

التي تستقبله ، ثم تسره^(١) وتسربله^(٢) ، وهي المهد والتميمة^(٣) ،
والمرضع الكريمة ، المنجبة كـ « حليلة »^(٤) . ألبانها حياة ،
وأحضانها جنات . وأنفاسها طيبات . العزيز من ولد بين سحرها^(٥) ،
ونحرها^(٦) ، وتعلق بصدرها ، ولعب على كتفها وحجرها ،
وترعرع بين خدرها وسرتها . ضجيعة موسى في التابوت^(٧) ،

(١) تسره : تقطع سرره . والسر : ما تقطعه القابلة من سرة الصبي ، ولا تقل :

سرته ؛ لأن السرة لا تقطع ، وإنما هي الموضع الذي قطع منه السر

(٢) تسربله : تلبسه السربال وهو القميص

(٣) التميمة : عوذة تعلق على الإنسان .

(٤) حليلة هي مرضع رسول الله ، وهي من قبيلة بني سعد

(٥) السحر : الرثة ، والمراد ما فوقها

(٦) النحر : موضع القلادة من الصدر

(٧) ضجيعة موسى في التابوت : حكاية التابوت أن المنجمين أخبروا فرعون

مصر أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظله زمانه الذي يولد فيه يسلبه ملكه ويخرجه
من أرضه ويبدل دينه ، فأمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان .

ولما قيل له : أفنيت الناس وقطعت النسل وهم خالك وعمالك : أمر أن يقتل
الغلمان عاماً ويستجئوا عاماً فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان ، وولد موسى
في السنة التي فيها يقتلون ، فحزن أمه ، فأوحى الله إليها : أن أرضعيه ، فإذا خفت
عليه فألقيه في اليم - وهو النيل - ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من
المرسلين . فلما وضعت أرضعته ثم دعت نجاراً لجعل له تابوتاً وجعلته فيه وألقته في اليم ،
فأقبل الموج بالتابوت برفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند بيت
فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأته يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسية ،
فأحبته وحالت بينه وبين الذبح ، فلما بلغ أشده وأصبح في المدينة خائفاً يترقب قال =

وَجَاوَرَتْهُ فِي دَارِ الطَّاغُوتِ ^(١) ، وَالْعَصَا ^(٢) الَّتِي تَوَكَّأَ عَلَيْهَا ، وَالنَّارُ
الَّتِي عَشَا إِلَيْهَا ^(٣) ، جِبَلَةُ الْمَسِيحِ ، السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، وَإِنْجِيلُهُ ، الَّذِي
حَارَبَهُ جِيلُهُ ^(٤) ، وَسَبِيلُهُ ، الَّذِي جَانَبَهُ قَبِيلُهُ ، طِينَةُ ^(٥) مُحَمَّدٍ عَنْ
نَفْسِهِ ، عَنْ قَوْمِهِ ، عَنْ أُمَمِهِ ، عَنْ يَوْمِهِ ، أَنْسَابُ عَالِيَةٍ ، وَأَحْسَابُ
زَاكِيَةٍ ، وَمُلُوكُ بَادِيَةٍ ، لَمْ يَدْنِهِمْ طَاغِيَةٌ ، وَهِيَ رُوحُ بَيَانِهِ ،
وَمُنْخَدِرُ السُّورِ عَلَى لِسَانِهِ ، الْحَرِّيَّةِ ، عَقْدُ الْمَلِكِ ، وَعَهْدُ الْمَلِكِ ،
وَسُكَّانُ الْقُلُوكِ ، يَدُ الْقَلَمِ ، عَلَى الْأُمَمِ ، وَمِنْحَةُ الْفِكْرِ ، وَنَفْثَةُ
الشَّعْرِ ، وَقَصِيدَةُ الدَّهْرِ ، لَا يُسْتَعْظَمُ فِيهَا قَرْبَانٌ ، وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ

= رَبُّ نَجْنَى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ : عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ . ثُمَّ كَانَتْ رِسَالَتُهُ ، فَالْحَرِيَّةُ الَّتِي اضْطَجَعَتْ مَعَ مُوسَى فِي التَّابُوتِ وَجَاوَرَتْهُ فِي
دَارِ الطَّاغُوتِ ، هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي إِنْقَازِ قَوْمِهِ مِنْ ظَلَمِ فِرْعَوْنَ .

(١) الطَّاغُوتُ : الْكَفَرُ .

(٢) الْعَصَا : هِيَ عَصَا مُوسَى ، وَهِيَ مَعْجَزَتُهُ الَّتِي كَانَتْ إِذَا أَلْفَاها انْقَلَبَتْ حِمِيَةً تَسْمَى ،
وَأَرَادَ أَنْ يَثْبِتَ لِفِرْعَوْنَ مِصْرَ أَنَّهُ مَرْسَلٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ لِتَحْرِيرِ أُمَّتِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ
الرَّقِّ وَالْعَبُودِيَّةِ . فَعَصَا مُوسَى . هِيَ عَصَا الْحَرِّيَّةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّرَ أُمَّتَهُ عَلَى يَدِهِ .

(٣) عَشَاها : قَصَدَهَا لَيْلًا بِوَسْطِ سَارِ بَاهِلِهِ ، فَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ نَارًا ، فَكَانَتْ
رِسَالَتُهُ بِذَلِكَ الْوَادِي الْمَقْدِسِ إِلَى فِرْعَوْنَ لِيُنْقِذَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ رَقِّ الْفِرَاعَةِ إِلَى
بِحُجُوحَةِ الْحَرِّيَّةِ .

(٤) جِيلُهُ : قَوْمُهُ ، وَقَدْ أَبَوْا أَنْ يَتَّبِعُوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَهُمْ الْخَوَارِثُونَ .

(٥) طِينَةُ مُحَمَّدٍ عَنْ نَفْسِهِ .. الْحُجَّ ، أَيْ أَنَّ مُحَمَّدًا خَلَقَ مِنَ الْحَرِّيَّةِ وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ كَانَتْ
سَارِحًا فِي فُضَائِهَا ، وَلَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدٌ دَعَا النَّاسَ جَمِيعًا إِلَى الْحَرِّيَّةِ .

عثمان بن عفان ، جنينٌ يَحْمَلُ به في أيامِ الحَنَةِ ، وتحت أفياء ^(١) ،
الفتنة ، وحينَ البغي سيرة السَّامة ^(٢) ، والعدوان وتيرة العامة ،
وعندَ تناهي غفلة السواد ، وتفاقم عبث القواد ، وبين الدَّمِ المطلول ،
والسيف المسلول ، والنظم المحلول ، وكذلك كانَ الرُّسلُ يولدون عندَ
عموم الجهالة ، ويُبعثون حين طُوم الضلالة ؛ فإذا كَمَلَتْ مدَّتُهُ .
وطلعتْ غُرَّتُهُ ، وسطعتْ أَسْرَتُهُ ، وصحَّتْ في المهدِ إمرته ، بدلت
الحالَ غيرَ الحال ، وجاءَ رجالٌ بعدَ الرِّجال ؛ دينٌ يفسحُ للصادق
والمنافق ، وسوقٌ يتسع للكاسد والنافق ^(٣) ، مولودٌ حمله قرون ،
ووضعه سنون ، وحدائثه أشغالٌ وشئون ، وأهوالٌ وشجون ،
فرحمَ الله كلَّ من وطأ ومهد ، وهياً وتعهد ، ثمَّ استشهدَ قبلَ
أن يشهد .

إذا أحرزت الأممُ الحرِّيَّةَ أتت السيادةُ من نفسها ، وسعت الإمارةُ
على رأسها ، وبُنِيَت الحضارةُ من أسسها ؛ فهي الأمرُ الوازع ، القليلُ
المنازع ، النبيلُ المشارب والمنازع ؛ الذي لا يتخذُ شيعة ، ولا صنيعه ،
ولا يزدهى بخديعة ؛ خازنٌ ساهر ، وحاسبٌ ماهر ؛ دانقُ الجماعة بذمة

(١) الأفياء : هي الظلال .

(٢) السامة . الخاصة .

(٣) النافق : الرائج .

منه وأمان ، ودرهمهم في حِرْزِهِ درهمان .

« فياليلي ^(١) » ماذا من أتراب ، وأريت التراب ؟ وأخذان أسلمت
للديدان ؟ عمالٌ للحق عمار ، كانوا الشمسوس والأقمار ، فأصبحوا على أفواه
الركاب والسمار ؛ وأين قيسك المعول ؟ ومجنونك الأول ؟ حائط الحق
الاطول ، وفارس الحقيفة الأجول ؛ أين مصطفى ؟ زين الشيباب ،
وريجان الاحباب ، وأول من دفع الباب ، وأبرز الناب ، وزار
دون الغاب ؟ ...

(١) البرجل : القدر ، والأرض ، والشرق ، وشبه العقول : الجرح (١) الجمع
الإصباح في كل
(٢) أصبح : أضاء ، وأضاء : أضاء ، وأضاء : أضاء ، وأضاء : أضاء
كل من ... فذلك : أضاء له ، وأضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له
(٣) الراد : المملاك ، والفرش : أضاء مطهرة ... أضاء : أضاء (٥)
(٤) الليل والنهار : العصور الأربعة : من شروق الشمس إلى غروبها (٦) أضاء
ولا كان الزمان ... أضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له
(٧) أضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له
(٨) أضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له
(٩) أضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له
(١٠) أضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له ، وأضاء : أضاء له

(١) يتاجى الحرية باسم ليلي ، ويسألها عن قيسها ، و « مجنونها » . (٦١)

الشمس

سَلَّ الشَّمْسَ مَنْ رَفَعَهَا نَارًا ، وَنَصَبَهَا ^(١) مَنْارًا ، وَضَرَبَهَا دِينَارًا ^(٢)
 وَمَنْ عَلَّقَهَا فِي الْجَوِّ سَاعَةً ^(٣) ، يَدِبُّ عَقْرِبَاهَا إِلَى يَوْمِ السَّاعَةِ ^(٤) ؟
 وَمَنْ ذَا الَّذِي آتَاهَا مِعْرَاجَهَا ^(٥) ، وَهَدَاهَا أُدْرَاجَهَا ^(٦) ، وَأَحْلَاهَا أَبْرَاجَهَا ،
 وَنَقَلَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا سَرَاجَهَا ؟ وَمَنْ الَّذِي وَكَّلَهَا بِهِذِهِ السُّكْرَةَ ، وَشَغَلَهَا
 بِهِذِهِ الدُّسْكُرَةَ ^(٧) ، حَتَّى اتَّخَذَتْهَا جَرَّ ذَيْلِهَا ^(٨) وَتَصَرَّفَتْ بِنَهَارِهَا وَلَيْلِهَا ؛
 تَنْهَضُ فِي السَّمَاءِ مُسْتَمْلِحَةً ، وَتَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُصْلِحَةً ، وَتَعْدُو
 مُنْجِحَةً ^(٩) ، وَتَرْوَحُ مُرْجِحَةً ^(١٠) ؛ كُلُّ إِيَاةٍ ^(١١) ، حَيَاةٍ أَوْ ائْتِنَافٍ ^(١٢) .

(١) نصبها : أقامها .

(٢) أى كالدينار صفرة واستدارة .

(٣) أى كالساعة التى يعرف بها الوقت .

(٤) عقربا الشمس : هما الليل والنهار تشبيهاً لهما بعقربى الساعة .

(٥) المعراج : السلم .

(٦) جمع دَرَج : وهو الطريق .

(٧) الدسكرة : القرية العظيمة والمراد بها هنا : الدنيا .

(٨) المراد بالذيل : الاشعة ، أى أنها اتخذت الدنيا مكاناً تجر عليه أشعتها .

(٩) غدو الشمس : إشرافها .

(١٠) الرواح : الغروب . ومرجحة : أى تجز العطاء .

(١١) الإيابة ، والشماع ، والرائد : كلها بمعنى واحد .

(١٢) ائتناف : أى تجديد .

حياة ، وكلُّ شعاع صانع صنّاع ، وكلُّ رائد مالٌ فائد ^(١) ، وخيرٌ رائد ؛
 هى المصباحُ الأنور ، والمِغزَلُ الأدور ^(٢) ، والمِرْجَلُ الأزهر ^(٣) ،
 والصَّبَاغُ الأمهر ^(٤) ، والراووق ^(٥) الأظهر ، والطبيبُ الأقدر الأشهر .
 الزمانُ هى سببُ حصوله ^(٦) ، ومنشعبُ ^(٧) فروعه وأصوله ،
 وكتابه بأجزائه وفصوله ؛ ولدَ على ظهرها ، ولعبَ على حجرِها ،
 وشابَ فى طاعتها وبرّها ؛ لولاها ما آتَسَقَت ^(٨) أيامه ، ولا انتظمت
 شهوره ، وأعوامه ، ولا اختلفَ نوره وظلامه ؛ ذهبَ الأصيلُ من
 مناجها ^(٩) ، والشفقُ يسيلُ من محاجها ^(١٠) ؛ تحطّمت القرونُ على

- (١) المالُ الفائد : النابت على الزيادة والربح .
- (٢) الأدور : شديد الدوران ، وتشبيهه الشمس بالمِغزَل لأنها تَقُتِلُ الأشعة وترسلها بسرعة .
- (٣) المِرْجَلُ : القدر . والأزهر : النير المشرق ، وشبه الشمس بالمرجل بجامع الإنضاج فى كلِّ .
- (٤) تصبغ النبات فتجعله أخضر ، وتحبوا الحيوان ألوانه المختلفة ، ثم تعطى بأشعتها كل شئ لونا .
- (٥) الراووق : المصفاة ، والغرض أنها مطهرة .
- (٦) الليل والنهار والفصول الأربعة : هى مظهر الزمان ، ولولا الشمس ما كانت ولا كان الزمان .
- (٧) المشعب : المقترق .
- (٨) اتسقت : أى انتظمت .
- (٩) المنجم : المعدن ، والمؤلف يشبه الأصيل بالذهب بجامع الصفرة فى كلِّ .
- (١٠) المحجم : مكان الحجامة ، وهى أخذ الدم من الجسم ، والمؤلف يشبه الشفق بالنسبة إلى الشمس بالدم بالنسبة إلى شخص يحتمم بجامع الحرارة فى كلِّ .

قرنها (١) ، ولم يَعْلُ تطاولُ السنينَ بِسِنِّها (٢) ، ولم يَمُحُ التقادم (٣)
لمحةً حَسِنِها ؛ أَتَتْ دُونَهَا الأيامُ وهى كَعَاب (٤) ، فى غَرْبِ الشباب (٥) ،
تَصْبِحُ تَبْرُزُ من حِجَاب ، وتُسمى تتوارى بِحِجَاب ؛ طالما رَدَّتْ
الغِرْبَانِ حَمَائِم (٦) ، ونَسَجَتْ الثلاثُ العَمَائِم (٧) ، وغَزَلَتْ الأَكْفَانِ ،
لَحَى قَانٍ ، وطلعتْ على عَزَبٍ (٨) وغَرَبَتْ على بَانٍ (٩) ، قامتْ على
غيرِ قَدَمٍ ، حتى طال عليها القَدَمُ ، وقيل : ما لهذه عَدَمٍ ، كلا لتَسْخَرَنَّ
عَمَاداً (١٠) ، ولتَذْهَبَنَّ رَمَاداً ، وليبْعَثَنَّ اللهُ جَمَاداً (١١)

-
- (١) قرن الشمس : أعلاها ، وقيل : أول ما يبدو من أشعتها .
(٢) السن : العمر ، والمعنى أن طول الزمن لم يؤثر فيها شيئاً .
(٣) التقادم : القَدَمُ .
(٤) كعبت الجارية : نهد ثديها ، فهى كعاب .
(٥) غرب الشباب : حَدَّتْه ونشاطه .
(٦) أى تحيل الشبان شيئا .
(٧) العمام الثلاث : كناية عن شعر الشباب الأسود واختلاط السواد بالبياض
فى الاشمط والبياض فى الشيوخ .
(٨) العزب : الذى لم يتزوج .
(٩) البانى : المتزوج .
(١٠) لتسقطن .
(١١) أى يبعث على أثرها من العظام أحياء . ويشير بهذا إلى أن الشمس تبقى
ولا تنفنى إلا قبيل الساعة ، حتى إذا ما فنيت نشرت الخلائق بعد ذلك ، و﴿ نُفِخْ فى
الصُّورِ فَصُيِقَ مَنْ فى السمواتِ وَمَنْ فى الأرضِ ﴾ .

المَوْتُ

راكب الأعواد^(١) إلى أين ؟ يا بُعدَ غاية البين^(٢) ، ويا قُربَ الميلادِ
من الحين^(٣) ؛ وَمَحْ قَوْمِكَ ! هل انتبهوا من نومِكَ^(٤) ، ولمسوا عبرةَ
الدهرِ بيومِكَ^(٥) ؟ حَمَلُوكَ على حَذَبَاءِ^(٦) ، يقعدُ الأبناءُ منها مقعدَ
الآباءِ . هي أعدلُ - إذ تَضَعُ^(٧) - من حَوَاءِ ، تُلْقِي حَمَلَهَا فإذا المَلَكُ
والسُّوقَةُ سواءُ ؛ حَقِيبَةُ المَيِّتَةِ^(٨) كُلَّ يومٍ في رِكابٍ ، من مَنَّاكِبِ^(٩)
ورقابٍ ، تَحْمِلُ الشَّيْبَ والشَّبَابَ ، إلى رَحَى البِلَى في اليبابِ^(١٠) ،
فَيَدُورُ عليهم الدُّوْلَابُ^(١١) فإذا هم حَصَى وَثَرَابٍ ؛ ومن عَجَبٍ يعدلونَهَا
بك إلى السَّيْلِ^(١٢) ، وما هي لَعَمْرُ أَيْكَ إلا الدَّلِيلُ ، في مَوَكِبٍ غيرِ

- (١) الأعواد : كناية عن النعش ، والخطاب للميت .
- (٢) البين : الفراق ، وهذه الجملة إشارة إلى بُعد الزمن ما بين الموت والنشور .
- (٣) الحين : الموت ، وهنا إشارة إلى نصر الحياة .
- (٤) أى هل اتعظوا به .
- (٥) العبرة : العظة . ويومك : أى يوم موتك .
- (٦) نَعَشٍ .
- (٧) أى تلد ، والمراد إذ تسلم الأموات إلى القبور .
- (٨) كناية عن النعش .
- (٩) المناكب : الأكتاف .
- (١٠) اليباب : القفر والخراب . والمراد برحى البلى هنا : القبر ، إذ فيه يتم الفناء .
- (١١) الدوْلَاب : الآلة الدائرة ، والمراد بها هنا : دوْلَابُ الفناء .
- (١٢) يُسَيِّرُونَهَا كيفما شاموا ، مع أنها هي التي تقودهم إلى طريق الحق .

ذى صوت ، أضفى ^(١) عليه جلاله الموت ؛ أنت فيه جدٌ في لعب ،
وصدقٌ في كذب ^(٢) ؛ لك فيه علو المتبوع في التبّع ^(٣) ، واللواء في
الخميس ^(٤) والخطيب في الجمع ، بيد أن ذلك لا يمنعك من الأرض ^(٥) ،
ولا ينفعك يوم العرض ^(٦) ، لست والله صاحب الآخرة ^(٧) ، وإن
كنت صاحب الجنازة الفاخرة ، حتى تشيع بيتيم بعدك مضيع ،
أو بائس من ورائك يائس ، أو وطن يبكيك عقلاؤه ، ويضج عليك
فضلاؤه ، ويمشي بنورك أبنائوه ، ويضئ حُفرتك ثنائوه . أنظر
- رحمك الله - هل ترى غيرَ باكٍ كضاحك المزن ^(٨) ، ليس وراء دمه
حزن ؟ أو وارث مشغول بما ملك ، أو فضولي يسأل كم ترك ؟

(١) أضفى : أفاض .

(٢) الآخرة جدّ الدنيا لعب ، وهى صدق والدنيا كذب . فهو بينهم ميت في
وسط أحياء ، فوصفه بأوصاف الآخرة كما وصفهم بأوصاف الدنيا .

(٣) التابعين .

(٤) اللواء : العلم . والخميس : الجيش .

(٥) الأرض : القبر .

(٦) القيامة .

(٧) أى صاحب الجزاء الحسن فيها . والمراد بهذه الجملة وما يليها : أنك لن تنال
ماترجوه من نعيم الله حتى تشهد لك دموع اليتامى من بعدك ، وبكاء البائسين على
قبرك ، وعبرات الفضلاء يوم مصرعك ، وأحزان الوطن لفراقك .

(٨) المزن : السحاب الغزير الماء . والغرض أنك لا تجد حولك إلا دمعا كذباً
وحزناً كله رياء .

زُخْرُفُ جَنَازَةٍ ، وَيَنْفِضُ دُونَ الْمَفَازَةِ ^(١) ، وَضِجَّةُ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا
وَزُورِهَا ، وَآخِرُ عَهْدِكَ بِبَاطِلِ الْحَيَاةِ وَغُرُورِهَا ، وَلَوْ أَطْلَلْتَ عَلَى فَنٍّ
طَالَمَا حَمَلَكَ ^(٢) ، وَبَاطِلٍ بِالْأَمْسِ شَغَلَكَ ، وَقَلِيلٍ مَتَاعٍ قَتَلَكَ ، ثُمَّ لَمْ
يَبْقَ لَكَ : لَمْ تَرَ غَيْرَ حُلْمٍ بُتِرَ ^(٣) ، وَمَلْعَبٍ سُوِّرَ ، وَمَاءٍ غَيْرِ ^(٤) ، وَظِلٍّ
هُجِرَ ، وَمَالٍ خُسِرَ ، وَوَارِثٍ مُنْشَمِرٍ ^(٥) ؛ يَسِيرُونَ بِكَ إِلَى الْمُنْفَرَقِ ^(٦)
وَسِوَاءِ الطَّرِيقِ ؛ وَيَأْخُذُونَ بِكَ نَاحِيَةَ الْحَقِّ ، وَسَبِيلَ الْخَلْقِ ، وَقَصْبَةَ
السَّيْقِ ؛ هَوَّةُ الْبَلَى ، وَغَمْرَةُ الْفَلَا ^(٧) ؛ وَالْمِيعَادُ ، وَمَدِينَةُ عَادَ ، وَعَرَصَاتُ
الْمَعَادِ ^(٨) ، وَالْبَلَدُ الَّذِي أَيْضَتْ فِيهِ الْإِكْبَادُ ^(٩) ، وَخُلِفَتْ بِظَاهِرِهِ الْأَحْقَادُ ،
وَصَحَّاءُ الْفُؤَادِ ، عَنِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ؛ كُلُّ مَكَانٍ فِيهِ مَضْجَعٌ ، وَكُلُّ زَمَانٍ

-
- (١) المفازة : الفلاة المهلكة لعدم وجود الماء ، والمراد بها هنا : موضع المقابر .
يقول : كل ما خرجت به من الدنيا موكب . زين ينفض قبل أن يواروك التراب .
(٢) جواب « لو » قوله « لم تر غير حلم بُتِر » .
(٣) قطع .
(٤) عبر الماء : قطع من شاطئه إلى شاطئه .
(٥) انشمر : مرَّ جاداً أو مختالاً .
(٦) مكان الفصل بين الدنيا والآخرة ، والمراد بهذا وما بعده : أوصاف المقابر
عامة ، أما وصف القبر خاصة فسيأتيك بعد قليل .
(٧) الفلا : الأرض الفضاء الموحشة . والغمرة : المزدحم ، والمراد أن المقابر
هوة يكون فيها الفناء وأرض يزدحم فيها الأموات .
(٨) العرصات : الفضاء بين الدور . والمعاد : موضع العود والنشور .
(٩) سواد السكب : كناية عن الحقد والحسد ، وبياضه : طهره من كل هذه الأرجاس .

فيه رُقَاد^(١)، ثم إذا أنت بييت^(٢)، لا ينزله إلا ميت؛ اختطه الباطلُ
وبناه، لنزول الحق وسكناه^(٣)؛ كل حجرٍ فيه من جدار، مشاع^(٤)
بين الدار والدار؛ حتى إذا أطرق^(٥) الجمع، وأطلق الدمع، وفرق
البصر والسَّمْع^(٦)؛ قذف ما في السرير^(٧)، قتلَقفه الحفير^(٨)، ووكلت
لمنكرٍ ونكيرٍ، لابل لرحمة الملك القدير.

فيا عبدَ المال، أضرَّكَ أنك عتقت^(٩)؟ ويا أسيرَ الآمال، أما سرَّكَ
أنك أطلقت^(١٠)؟ ويا كثيرَ التحول والتقلب، قلب إن استطعت جنينك؛
ويا مُديمَ التطلُع والتَّطلُّب، أطلب من البلي نورَ عينيك؛ ويا مُزحزحَ
الصَّم^(١١) الصَّلاب، زحزح عن رأسك هذه الظلمة؛ ويا فاتحَ المغالق

(١) يقضى الميت مدته فيه كلها في رقاد طويل.

(٢) القبر.

(٣) الإنسان الموجود في الدنيا دار الباطل والغرور يحفر القبر ليسكنه الميت

الذاهب إلى دار الحق والرشاد.

(٤) مشاع: مشترك.

(٥) أطرق برأسه: أماله إلى الأرض حزناً.

(٦) فرق: فزع وخاف.

(٧) السرير: النعش.

(٨) الحفير: القبر.

(٩) الاستفهام هنا إنكارى.

(١٠) الاستفهام هنا تقريرى يقوّر ما بعده.

(١١) الصَّم: الحجارة الصماء.

الصَّعَاب ، افْتَحَ لَكَ الْيَوْمَ ثُلَّةً ^(١) . كَأَنِّي وَاللَّهِ بِالْدَّهْرِ وَقَدْ خَلَا ، وَبِالْمَحْزُونِ
وَقَدْ سَلَا ^(٢) ، وَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْكَ الثَّرَى وَقَامَتْ عَنْكَ الرَّحَى ^(٣)
فَإِذَا أَنْتَ عِظَامٌ ، كَمَا اخْتَرَطَ الْعَنْقُودُ ^(٤) ؛ ثُمَّ إِذَا أَنْتَ رَغَامٌ ^(٥) ،
جَفَّ الْمَاءُ وَذَهَبَ الْعُودُ .

(١) ثُلَّةٌ فِتْحَةٌ ، وَكُلٌّ مَا تَقْدَمُ الْغُرُضُ مِنْهُ لِإِظْهَارِ نَهَايَةِ عَجْزِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ ،
وَكَمَا يَقُولُ (وَإِنْ يَسْأَلُ عَنْهُمْ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) .

(٢) سَلَا : أَيْ تَعَزَّى وَتَرَكَ .

(٣) أَيْ لَمْ يَبْقَ مِنْكَ مَا يَصْلَحُ لِلطَّحْنِ كُنْيَاةً عَنْ تَمَامِ الْفَنَاءِ .

(٤) اخْتَرَطَ الرَّجُلُ الْعَنْقُودَ : وَضَعَهُ فِي فَمِهِ وَأَخْرَجَ عُودَهُ عَارِيًا .

(٥) الرِّغَامُ : التُّرَابُ .

دَعَاءُ الصَّلَاةِ الْعَامَّةِ

[في سنة ١٩١٩ هبت البلاد في ثورة عامة تطلب استقلالها المغضوب ، وأوفدت لذلك وفداً ليرفع هذا الصوت في مؤتمر « فرساي » ، فأُوصد الباب في وجهه ، وأضطر إلى أن يلبث في فرنسا سنة كاملة بين تعب ناصب ، وجهاد طويل ؛ ثم تلقى دعوة إلى المفاوضة مع الإنكليز في عاصمة بلادهم ؛ يومئذ وضع المؤلف هذا الدعاء البليغ ، فأجمع الناس من كل دين على أن يتوسلوا إلى الله أن يُعزَّزَ به ثواب البلاد . وعقب صلاة الجمعة من يوم ١٧ رمضان سنة ١٣٣٨ - ٤ يونيو سنة ١٩٢٠ - ارتفعت أصوات المسلمين من كل مسجد في كل بلد من بلاد القطر تمتف بهذا الدعاء الحار ، وملء القلوب أمل ، وملء الأنفاس توسل ورجاء] :

اللهم قاهرَ القياصر ، ومُذلَّ الجبابر ، وناصرَ مَنْ لا له ناصر ؛ ركنَ الضعيف ومادةَ قواه ، وملهمَ القوى خَشْيَتَهُ وتقواه ، ومن لا يحكم بين عبادِه سواه ؛ هذه كِنَانَتُكَ فَرِّعَ (١) إليك بنوها ، وهرَّعَ إليك ساكنوها ؛ هلالاً وصليبا (٢) ، بعيداً وقريبا ، شُبَّاناً وشيخاً ، نجيباً ونجيباً (٣) ؛ مُسْتَبْقِينَ (٤) كِنَانَتِكَ المَكْرَمَةَ ، التي رفعتها لقدسك أعتاباً ، مُيمِّمين مساجدك المعظمة ، التي شرعتها

(١) فروع إليه : استغاثه .

(٢) أى من يحمل الهلال ومن يحمل الصليب .

(٣) النجيب : الكريم الحسب . والنجية : مؤنثه .

(٤) استبقوا : أى تسابقوا إلى .

لكرمك أبوابا ؛ نسألك فيها بعيسى روح الحق ، ومحمد نبي الصدق ،
وبموسى الهارب من الرق ؛ كما نسألك بالشهر الأبر والصائمه (١) ،
وليله الأغتر والقائمه ، وبهذه الصلاة العامة من أقباط الوادي
ومُسلميه : أن تُعزّنا بالعتق (٢) إلّا من ولّاك ، ولا تُذلّنا بالرق
لغير آلائك ، ولا تحملنا على غير حكمك واستعلائك (٣) . اللهم
إنّ الملاء (٤) مِنّا ومنهم قد تداعوا (٥) إلى الخُطة الفاضلة ، والسكّمة
الفاصلة ، في قضيتنا العادلة ، فآتتنا اللهم حقوقنا كاملة ؛ واجعل وفدنا
في دارهم هو وفدك ، وجندنا الأعزل إلّا من الحق جندك ؛ وقلّده (٦)
اللهم التوفيق والتسديد ، وأعصمه في ركنك الشديد . أقم نوابنا
المقام المحمود ، وظلّهم بظلك الممدود ، وكن أنت الوكيل عنّا توكيلاً
غير محدود ، سبحانه لا يُحدّ لك كرم ولا جود ، ويردّ إليك الأمر
كلّه وأمرك غير مردود ؛ واجعل القوم مخالفينا ولا تجعلهم
مخالفينا ، واحمل أهل الرأي فيهم على رأيك فينا . اللهم تاجنا منك

(١) أى الذين يصومون فيه ، وكذلك القائمه ، وهنا دأل ، موصولة .

(٢) العتق : التحرير من الرق .

(٣) الاستعلاء : الغلبة .

(٤) الملاء هنا : بمعنى أشراف الناس .

(٥) اجتمعوا .

(٦) قلّده السيف : وضع حملته في عنقه .

نطلبه ، وعَرَّشْنَا إِلَيْكَ نَحْطُبُهُ ، واستقللنا التَّامَّ بِكَ نَسْتَوْجِبُهُ ؛ فَقَلَّدْنَا
 زَمَانَنَا ، وَوَلَّيْنَا أَحْكَامَنَا ، وَأَجْعَلِ الْحَقَّ إِمَامَنَا ، وَتَمِّمْ لَنَا الْفَرَحَ ،
 بِالتِّي مَا بَعْدَهَا مُقْتَرَحَ ، وَلَا وِرَاءَهَا مُطَّرَحَ ^(١) ؛ وَلَا تَجْعَلْنَا لِلَّهِمَّ
 بَاغِينَ وَلَا عَادِينَ ، وَاكْتَبْنَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ، غَيْرِ الْمُفْسِدِينَ
 فِيهَا وَلَا الضَّالِّينَ ... آمِينَ .

فَقَلَّدْنَا زَمَانَنَا ، وَوَلَّيْنَا أَحْكَامَنَا ، وَأَجْعَلِ الْحَقَّ إِمَامَنَا ، وَتَمِّمْ لَنَا الْفَرَحَ ،
 بِالتِّي مَا بَعْدَهَا مُقْتَرَحَ ، وَلَا وِرَاءَهَا مُطَّرَحَ ^(١) ؛ وَلَا تَجْعَلْنَا لِلَّهِمَّ
 بَاغِينَ وَلَا عَادِينَ ، وَاكْتَبْنَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ، غَيْرِ الْمُفْسِدِينَ
 فِيهَا وَلَا الضَّالِّينَ ... آمِينَ .

(١) آطَّرَحَ الشَّيْءَ : أَبْعَدَهُ وَطَرَحَهُ .
 (٢) لَمَّا : كَمَا .
 (٣) أَيَّ : أَيُّ .
 (٤) تَمِّمْ : اكْتَمِلْ .
 (٥) بَاغِينَ : مُبْغِضِينَ .
 (٦) عَادِينَ : مُعَادِينَ .

الشَّبابُ

الشَّبابُ أَيَّامُ آذَارٍ ^(١) ، ودولة العذار ^(٢) ، وأَعِنَّةُ الأَوطار ^(٣) و ليلة العرس في هذه الدار ، سِنَّةٌ كالطيف سُرَّاهَا ^(٤) ، وكقُبْلَةٍ الخَلْسِ ^(٥) حُلْمٌ كَرَّاهَا ، ونشوةٌ يتلفَّت المستفيق لا يراها ، وجَنَّةٌ لَوْ خَيْرَ الْمُقْبَلِ ^(٦) بالعقل اشتراها ، العشقُ في غير جَنَاحِهِ ^(٧) ، طائرٌ لا ينهضُ به جَنَاح ؛ والكأسُ من غير راحِهِ ، غَبِيَّةُ الساقى بليدةِ الراح ^(٨) ؛ والمالُ في غير خزائنه غريب ، ويتحوَّلُ عن قريب ، رؤيا الوارث في نومِهِ ، وشغله في يومِهِ ، وملْكُ يدِهِ ، في غدِهِ ، السلطانُ والدَّولةُ ، والإمكانُ والصَّولةُ ، والملْكُ وكلُّ ما حوله ، نَعَمٌ إِذَا لم تُحْرَزْ في الشباب فما هي في الحِرْزِ الحرِيزِ ^(٩) ، ودُولٌ إِذَا لم تَعَزَّ به

(١) « آذار » في الشهور العبرية يقابل « مارس » في الشهور الإفرنجية ، وهو مستهل الربيع .

(٢) العذار : جانب اللحية .

(٣) الأوطار : الأغراض .

(٤) السَّنةُ : الغفلة أو فتور يتقدم النوم . والسَّرى : السير في الليل .

(٥) الخلس - من خلس الشيء : أخذه في مخالة .

(٦) الجَنَّةُ . الجنون . والمُقْبِلُ : المجنون يُشْفَى من جنونه .

(٧) في غير كنفه .

(٨) غباوة الساقى وبلادة الراح : كناية عن ضالة فرحها وضعف نشوتها .

(٩) الحِرْزُ الحرِيزُ : الحصن المنيع .

فليست في الذرا^(١) العزيز ؛ ولذات إذ لم يشهد لها غادتها حسرة الفوت ،
ورأوتها فكرة الموت .

أروع الشهرة ماطر في سماءه ، وأمتع الصيت ما سار تحت لوائه ،
وأحسن الشاء ما أتى في أثائه ، ورف على قشيب رداؤه^(٢) ؛ في مطالعه
يروع النبوغ ، كما تروع الشمس في البزوغ ، أو الهلال الغلام^(٣) في البلوغ .
فيأناهب شبابه ، قاعداً للتجر^(٤) يبابه ، يسرف في الرحيق وحبابه^(٥)
ويتلف الصبا بين صبابته وأحبابه ... أفق ! تلك دنان^(٦) ، لا تقوى على
الإدمان^(٧) ، ولا يملؤها مرتين الزمان ، كرم لا يوجد في الجنان ،
ولا ينبت في « مالقة » ولا « شمبان »^(٨) ؛ عناقيده مختصرة^(٩) الثمار ،

(١) الذرا : الكنف والملاجئ .

(٢) الرداء القشيب : الجديد النظيف .

(٣) أى الصغير .

(٤) التجر : بائع الخمر .

(٥) الرحيق : الخمر . والحباب : الحب .

(٦) الدنان : جمع دن وهو لنام الخمر .

(٧) الإدمان : مداومة الشراب .

(٨) شمبان : مقاطعة في فرنسا اشتهرت بجودة الخمر . ومالقة : مدينة في أسبانيا ،

في ضواحيها كروم يستخرج منها نبيذ « ملقا » المشهور . وقد استعاض المؤلف بهذين
البلدين عن « بابل » و « اندرين » وعما اعتاد العرب أن يذكروا من البلاد إذا ذكروا الخمر

(٩) اختصرة الكلا : قُطِع وهو أخضر .

مختصرة الأعمار ، بريئة الخمر من الخمار ^(١) حليبها ^(٢) الأفراح وجلبها
المراح وهي فارضية ^(٣) الراح ، لم تطأها الأقدام ولم تمسسها الراح ^(٤) فلا تعب
الراقود ^(٥) ، وأثر به نغبة نغبة ^(٦) ، ولا تختلط العنقود ^(٧) ، وكله
حبة حبة .

-
- (١) الخمار : صداع الخمر وأذاها .
(٢) الحلب : اللبن المحلوب .
(٣) فارضية : نسبة إلى ابن الفارض .
(٤) الأكف .
(٥) عب الماء : شربه بلا تنفس . والراقود : دئ الخمر .
(٦) جرة جرة .
(٧) اختلط العنقود : وضعه في فيه ثم أخرج عوده عارياً .

الْخَيْرُ

شَجَرَةٌ مَرَأَاهَا جَمِيلٌ ، وَظِلُّهَا مَقِيلٌ ^(١) ، وَأَعَالِيهَا هَدِيلٌ ^(٢) ، وَهِيَ مُدَلَّلَةٌ
السَّبِيلُ ، الطَّيْرُ عَلَى جَوَانِبِهَا تَمِيلُ ، وَالنَّاسُ فِي ظِلِّهَا الظَّلِيلُ ؛ فَأَمَّا الطَّيْرُ
فَتَنْزِلُ بُحَمَلَاتٍ ^(٣) ، وَتَرْحَلُ غَيْرَ حُمَلَاتٍ ، تَسْقُطُ مُشَفِّقَاتٌ ، وَتَلْقُطُ
مُتَرْفِّقَاتٌ ، وَتَشْدُو بِشُكْرِ الصَّنِيعِ مُنْطَلِقَاتٌ ؛ وَأَمَّا النَّاسُ فَلَا يَتَّشُدُّونَ
فِي الثَّمَرَةِ ^(٤) ، وَلَا يُرْفَهُونَ عَنِ الشَّجَرَةِ ^(٥) ؛ يَهْزُونُ أَصُولَهَا بَعْفٌ ،
وَيَنْفُضُونَ فُرُوعَهَا بِغَيْرِ لُطْفٍ ؛ يَسَاقُطُونَ الْجَنَى ^(٦) ، بِطَرَفِ الْعَصَا ،
وَيَسْتَنْزِلُونَ الثَّمَرَ بِرَمَى الْحِجَرِ ؛ يَلْبُونُ وَيُلُومُونَ ^(٧) وَيَطْعَمُونَ وَيَطْعَنُونَ
وَيَلْعَقُونَ ^(٨) ، وَيَلْعَنُونَ ؛ يَجْنُونَ الثَّمَرَ ، وَيَلْحَنُونَ ^(٩) الشَّجَرَ .

(١) المَقِيلُ : الَّذِي يُؤْوَى إِلَيْهِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ .

(٢) الْهَدِيلُ : صَوْتُ الْحَمَامِ .

(٣) أَجْمَلٌ فِي الطَّلَبِ : رَفَقٌ .

(٤) لَا يَتَمَهَّلُونَ فِي جَنْبِهَا .

(٥) رَفَّ عَنْهُ : نَفَسَ وَخَفَفَ .

(٦) يَسَاقُطُونَهُ : أَيِ يَتَابَعُونَ لِإِسْقَاطِهِ . وَالْجَنَى : مَا يُجَنَّى مِنَ الشَّجَرِ مَا دَامَ غَضًّا .

(٧) يَلْبُونُ الثَّمَرَ وَيُلُومُونَ الشَّجَرَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُشْبِعْ نَهْمَهُمْ .

(٨) لَعَقَ الْعَسَلُ : لَحَسَهُ وَالْمَرَادُ التَّمَتُّعُ بِحَلَاوَةِ الثَّمَرِ .

(٩) لَحَا الشَّجَرَةَ : قَشَرَهَا ؛ وَلَحَاهُ أَيْضًا : سَبَّهُ وَعَابَهُ .

الظُّلْمُ

قَلِيلُ الْمُدَّةِ ، كَلِيلُ الْعُدَّةِ ^(١) ، وإن تظاهر بالشدة ، وتناهى في الحدة ،
عَقَرَبٌ بِشَوَّلَتِهَا ^(٢) ، مُحْتَالَةٌ ، لَا تَعْدُمُ نَعْلًا قِتَالَةً ، رِيحٌ هَوَّجَاءٌ لَا تَلْبِثُ أَنْ
تَتَمَزَّقَ فِي الْبَيْدِ ^(٣) ، أَوْ تَتَحَطَّمَ عَلَى أَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ ^(٤) ، فَتَيْدٍ ، جَامِحٌ ^(٥)
رَاكِبٌ رَأْسُهُ ، مُحَايِلٌ بِأَسْنَانِهِ ، غَايَتُهُ صَخْرَةٌ يُوَافِيهَا ، أَوْ حُفْرَةٌ يَتَرَدَّى
فِيهَا ، سَيْلٌ طَاغٍ لَا يَعْدُمُ هَضْبًا تَقِفُ فِي طَرِيقِهِ ، أَوْ وَهَادًا ^(٦) تَجْتَمِعُ
عَلَى تَفْرِيقِهِ ، جِدَارٌ مُتَدَاعٍ أَكْثَرُ مَا يَتَهَدَّدُ ^(٧) ، حِينَ يَهْمُ أَنْ يَتَهَدَّدَ ^(٨) ،
هُوَ غَدَاً خَرَابٌ ، وَكَوْمَةٌ مِنْ تَرَابٍ ، نَارٌ مُنْقَطِعَةُ الْمَدَدِ ، وَإِنْ سَدَّتْ
الْجَدَدَ ^(٩) وَمَلَأَتْ الْبَلَدَ ، يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَنَارِ الْحَسَدِ .

(١) السيف الكليل : الذي لا يقطع .

(٢) الشولة : ما ترفع العقرب من ذنبها .

(٣) جمع بيداء وهي الفلاة .

(٤) جمع جلود : وهو الصخر .

(٥) أى فرس جامح .

(٦) جمع وهدة : وهي الهوة في الأرض .

(٧) أى أكثر ما يخاف منه .

(٨) أى يسقط .

(٩) الجدد : الطريق الواسع .

الْقَلْبُ

يا طيب الجماعة : قُمْ أَلْقِ السَّاعَةَ ، وَسَلْ هَذِهِ السَّاعَةَ ^(١) ، مَنْ أَدَقَّ
اللَّحْمَ صِنَاعَةً ، وَمَنْحَ الدَّمِ الْمَنَاعَةَ مُضَغَّةً ^(٢) إِذَا فُتِرَتْ ^(٣) سُلِبَتْ الْبِرَاعَةُ ،
وَلَبِسَتْ الْعَجْزَ وَالضَّرَاعَةَ ^(٤) ، تَدَايِيرُكَ عِنْدُكَ مُضَاعَةٌ ، وَعَقَافِيرُكَ
مُزْجَاةٌ ^(٥) بِضَاعَةٌ .

(١) السَّاعَةُ : الدُّعَاءُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ عِنْدَ الْفَتْحِ لَا تَقُولُ : يَا لَيْلًا سَيْلًا .

(٢) الْحَمْلُ : حَمْلُ الْحَمَامِ . الْبِنَاءُ : بِنَاءُ الْبَيْتِ وَالْمَنْعَةُ : مَنَعَةُ الْبَيْتِ .

(٣) الْفُتْرُ : أَمَلٌ فِي الْفُتْرِ . الْفُتْرُ : فَتْرَةٌ . الْفُتْرُ : فَتْرَةٌ .

(٤) الضَّرَاعَةُ : الضَّرْعُ . الضَّرْعُ : الضَّرْعُ . الضَّرْعُ : الضَّرْعُ .

(٥) الْمَزْجَاةُ : الْمَزْجَاةُ . الْمَزْجَاةُ : الْمَزْجَاةُ . الْمَزْجَاةُ : الْمَزْجَاةُ .

(١) الْمَرَادُ بِالسَّاعَةِ هُنَا : الْقَلْبُ ، شَبَّهَ بِهَا بِجَمَاعِ الدَّقِ الْمُنْتَظَمِ فِي كُلِّ .

(٢) قِطْعَةُ لَحْمٍ .

(٣) فَتْرٌ : سَكَنٌ بَعْدَ حَذْوَةٍ .

(٤) الضَّرَاعَةُ : الضَّعْفُ . الْمَرَادُ بِالضَّرْعِ عِلَاقَةُ الْفَرْسِ .

(٥) الْبِضَاعَةُ الْمَزْجَاةُ : أَيْ الرَّدِيئَةُ .

الذِّكْرَى

من البرِّ يا قلبُ أن تَدَّكِرَ^(١) فَمِلْ بِي عَلَى الْفَائِتِ الْمُنْدَثِرِ
وَلَا تَأُلْ^(٢) ذِكْرِي وَلَا تَدَّخِرْ
هَلَمْ نَنْشُرْ مَطْوِيَّ الصَّفَحَاتِ ، وَنُقَرِّبَ نَازِحَ^(٣) اللَّذَّاتِ ، وَنُؤَبِّ مِنْ
سَفَرِ الْأَيَّامِ بَغَائِبِ اللَّبَّانَاتِ^(٤) . أَعِدْ عَلَيَّ مِنْ دَقَّاتِ نَاقُوسِكَ تَرْنِيماً^(٥)
كَانَ لَذِيذَ الْحَوَاشِي رَخِيماً ، وَمِنْ دَقَائِقِ سَاعَتِكَ مَارِئاً فِي أُذُنِي قَدِيماً ،
فَمَا زِلْتَ يَا قَلْبُ تَقْضِي الْحُقُوقَ ، وَتَذَكِّرُ الْعُهُودَ فَتَجْزِيهَا التَّلَفُّتَ^(٦)
وَالْحُفُوقَ ، حَتَّى كَأَنَّكَ قَلْبَانُ ، اثْنَانِ ، قَلْبٌ مَعَ الْمَاضِي مُتَخَلِّفُ السَّعْنَانِ ،
وَقَلْبٌ يَسِيرُ رَكْبَ^(٧) الزَّمَانِ ، بَعِيشِكَ قَلْبِي : مَنْ عَلِمَكَ رَدَّ الْأَحْلَامِ ؟
وَرُجُوعَ الْقَهْقَرَى فِي نَوَاحِي الْأَيَّامِ ؟ ، وَمَنْ رَسَمَ لَكَ الْإِنْسَامَ^(٨) بِدِمْنَةٍ

(١) أَذْكَرَ الشَّيْءَ : ذَكَرَهُ .

(٢) أَلَا فِي الْأَمْرِ يَا لَوْ : قَصَّرَ فِيهِ وَأَبْطَأَ .

(٣) النَّازِحُ : الْبَعِيدُ .

(٤) آبُ يَوْوَبٍ : رَجْعُ . وَاللَّبَّانَاتُ : الْحَاجَاتُ .

(٥) التَّرْنِيمُ : تَطْرِيبُ الصَّوْتِ .

(٦) تَلَفُّتَ الْقَلْبُ . كُنْيَاةٌ عَنِ الشَّوْقِ .

(٧) الرِّكْبُ : رُكَّابُ الْخَيْلِ أَوْ الْإِبِلِ .

(٨) رَسَمَ لَهُ كَذَا . أَمَرَهُ بِهِ وَأَلَمَ بِالْقَوْمِ الْمَسَامَاً : زَارَهُمْ زِيَارَةً قَصِيرَةً .

عَيْشٍ أَوْ بَرَسْمٍ غَرَامٌ^(١)؟ ، وَمَنْ عَلَّمَ الدَّمَ وَصَلَ الْجِبَالَ^(٢) ، وَحَمَلَ اللَّحْمَ
 مَا يَوْهِنُ الْجِبَالَ ، مِنَ الْحَنِينِ إِلَى سَالِفِ خَالٍ ، أَوِ الْبُكَاءِ عَلَى دَارِسٍ بِالٍ؟
 وَمَا سُلْطَانُكَ يَا قَلْبُ حَتَّى تُدْنِيَ الْمَمْعَنَ^(٣) فِي بُعْدِهِ ، وَتَجِدَهُ وَإِنْ تَطَاوَلَ
 الْعَهْدُ عَلَى فَقْدِهِ؟ وَمَنْ عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ ، وَتَقْلِبَ الْأَقْدَمَ وَالْأَحَدَثَ^(٤)
 وَتَذَكَّرَ الصَّبَا وَأَيَّامَهُ ، وَوَادِيَهُ وَآرَامَهُ^(٥) وَبَسَاطَتَهُ وَمُدَامَهُ...؟
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي صَوَّرَكَ فَأَدَقَّكَ ، وَقَدَّرَ خَفُوقَكَ وَدَقَّكَ ، وَمَهَّدَكَ
 وَزَقَّكَ^(٦) ، وَكَتَبَ عَلَيْكَ فِي الضُّلُوعِ رِقَّكَ^(٧) ؛ وَمَا أَنْتَ لَوْلَا التَّذَكُّرُ
 وَالْفَكْرُ ، إِلَّا كِبْعُضُ الْقُلُوبِ إِذْ هِيَ حَجَرٌ ، يَنْفَجِرُ بِالْعَذْبِ وَلَا يَعْلَمُ
 كَيْفَ أَنْفَجِرَ ، وَلَا مَتَى نَبَعَ وَلَا أَيْنَ أَنْحَدَرَ ، أَوْ كَالْأَرْضِ بِذَهَبِ شَجَرٍ
 وَيَأْتِي شَجَرٌ . فَلَا تَذَكَّرُ مَا غَابَ ، وَلَا تَشْعُرُ بِمَا حَضَرَ .

(١) الدمنة : آثار الدار . والرسم : ما كان لاحقاً بالأرض من هذه الآثار .

(٢) المراد بالجبال هنا : العهود .

(٣) الممعن : المبالغ .

(٤) مبالغة في القديم والحديث .

(٥) الآرام : جمع رثم وهو الظبي الخالص البياض

(٦) زق الطائر فرخه : أطعمه بمنقاره

(٧) إشارة إلى يجتهد تحت الضلوع من يوم الميلاد إلى يوم الوفاة

شَاهِدُ الزُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ

يا شاهدَ الزُّورِ ، أنت شرُّ مَوْزُورٍ ^(١) ؛ ضَلَلْتَ الْقَضَاةَ ، وَحَلَفْتَ كَاذِبًا
بِاللَّهِ ؛ وَنَلْتَ الْأَبْرِيَاءَ بِأَذَاةٍ ^(٢) ، وَحُلْتَ بَيْنَ الْقِصَاصِ وَالْجُنَاةِ ، وَاللَّهُ يَقُولُ :
« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » .

والله اعلم بالصواب

(١) الموزور : الذي يحمل الإثم .
(٢) المَكْرُوه .
(٣) المَكْرُوه .
(٤) المَكْرُوه .
(٥) المَكْرُوه .
(٦) المَكْرُوه .
(٧) المَكْرُوه .

الصَّبْرُ

بعض الصبرِ تَجَلُّدٌ ، وثُمَّ الحَزْمُ والرِّضَا ؛ وبعضُ تَبَلُّدٌ ^(١) ،
وهنا العَجْزُ والاستِخْذَاءُ ^(٢) ؛ ليس الصبرُ غِلْظَةُ القلبِ ، وبلادةُ
اللبِّ ؛ أو الجهلُ على الأقدارِ ، وإنكارُ الإرادةِ عليها والإصدارُ ؛ ولا هو
استِظْاظُ الأنديةِ ^(٣) ، وألفاظُ تَجْرِي بالتعزية ؛ ورجلٌ يُحدِّثُك
بالصبرِ ، وإذا أُصيبَ تَمَنَّى القبرَ ؛ إنما الصبرُ اسْتِرْجَاعُك ^(٤) في النفسِ
الحزينةِ ، حتى تَفِيءَ ^(٥) إلى السكينةِ ، وتَجِيءَ ^(٦) من نفسها إلى الطمأنينةِ
إيمانُ يَزَعُ ^(٧) ، عندَ الجَزَعِ ؛ وعقلٌ يَزِنُ ، إذا القلبُ حَزَنَ ؛
ومقابلةُ الأحكامِ بالحكمةِ ، والعلمُ بأن النعمةِ نَذِيرُ النِّقْمَةِ ؛ وبأن
الدَّهْرَ حالتانِ ، والدنيا حُلَّتَانِ ؛ وأن من لم يَنْتَفِعْ بالضَّجَرِ رَضِيَ ،
وأن لكلِّ شيءٍ غايةٌ وَيَنْقُضِي .

(١) التبدل : الخيرة والتلهف .

(٢) الاستخذاء . الخضوع .

(٣) امتلاء المجامع بأخلاق المعزين

(٤) قولك « إنا لله وإنا إليه راجعون »

(٥) ترجع .

(٦) تلتجئ .

(٧) يمنع من الحزن .

شَهَادَةُ الدِّرَاسَةِ

وَشَهَادَةُ الْحَيَاةِ

ما بال النَّاشِئِ وَصَلَ أَجْتِهَادَهُ ، حَتَّى حَصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ ؛ فَلِمَا كَحَلَ بِأَحْرِفِهَا عَيْنِيهِ ، وَظَفِرَتْ بِزُخْرُفِهَا كِلْتَا يَدَيْهِ ؛ هَجَرَ الْعِلْمَ وَرُبُوعَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى مَعَاهِدِهِ بِأَقْطُوعَةٍ ^(١) ؛ طَوَى الدِّفَاتِرَ ، وَتَرَكَ الْمَحَايِرَ ، وَذَهَبَ يُخَايِلُ ^(٢) وَيُفَاخِرُ ، وَيَدْعَى عِلْمَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ؟ فَمَنْ يُنْبِيهِ ^(٣) ، بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ لِأَيِّهِ ، وَجَزَى سَعْيَ مُعَلِّمِهِ وَمُرِيَّهِ : أَنْ الشَّهَادَةَ طَرَفُ السَّبَبِ ^(٤) ، وَفَاتِحَةُ الطَّلَبِ ، وَالْجَوَازُ ^(٥) إِلَى أَقْطَارِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ؛ وَأَنَّ الْعِلْمَ لَا يُمْلَكُ بِالصُّكُوكِ وَالرَّقَاعِ ^(٦) ، وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ عِنْدَ الثَّقَاتِ غَيْرُ وَثَائِقِ الْإِقْطَاعِ ^(٧) . وَمَنْ يَقُولُ لَهُ أَرْشَدَهُ اللَّهُ : إِنْ شَهَادَةَ الْمَدْرَسَةِ غَيْرُ شَهَادَةِ الْحَيَاةِ ؟

(١) الاقْطُوعَةُ : شَيْءٌ تَبْعَثُ بِهِ الْجَارِيَةُ إِلَى الْآخِرَى عَلَامَةُ الْمَفَاطَعَةِ وَالْخِصَامِ .

(٢) خَايِلُ زَمِيلُهُ : بَارَاهُ وَفَاخَرَهُ .

(٣) أَيْ يُخْبِرُهُ .

(٤) السَّبَبُ : هُوَ الْحَبْلُ ، وَطَرَفُ السَّبَبِ يَرَادُ بِهِ مَبْدَأُ الْحَيَاةِ .

(٥) الْجَوَازُ : عَلَامَةُ الْمُرُورِ وَصَكُّ الْمَسَافِرِ .

(٦) الصُّكُّ : الْكِتَابُ ، وَالْجَمْعُ صُكُوكٌ . وَالرَّقَاعُ : جَمْعُ رَقْعَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ

الْمَكْتُوبَةُ مِنَ الْوَرَقِ .

(٧) الْإِقْطَاعُ : أَنْ يَجْعَلَ الْأَمِيرُ غَلَّةَ الْبَلَدِ لِلْجُنْدِ .

فيا نَاشِئَ الْقَوْمِ بَلَغْتَ الشَّبَابَ ، ودَفَعْتَ عَلَى الْحَيَاةِ الْبَابَ ؛ فهل
تَاهَبْتَ لِلْمَعْمَعَةِ ^(١) ، وَجَهَّزْتَ النَّفْسَ لِلْمَوْقِعَةِ ، وَوَطَّنْتَهَا ^(٢) عَلَى
الضِّيقِ بَعْدَ السَّعَةِ ، وَعَلَى شِظْفِ الْعَيْشِ بَعْدَ الدَّعَةِ ؟ دَعَتِ الْحَيَاةُ نَزَالَ ^(٣)
فَهَلُمُّ أَقْتَحِمِ الْمَجَالَ ، وَتَوَرَّدَ ^(٤) الْقِتَالَ ؛ أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَى الْحَيَاةِ ، إِنَّهَا حَرْبُ
جُمَاةٍ وَغَدْرٍ وَبَيَاتٍ ^(٥) ، وَخَدَاعٍ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْحَادِثَاتِ ؛ فَطُوبَى ^(٦)
لِمَنْ شَهِدَهَا كَامِلَ الْأَدَوَاتِ ، مَوْفُورَ الْمُعَدَّاتِ ؛ سِلَاحُهُ ، صَلَاحُهُ ؛
وَتَرْسُهُ ، دَرَسُهُ ؛ وَيَلْبُهُ ^(٧) ، أَدَبُهُ ؛ وَصِمَامَتُهُ ^(٨) أَسْتِقَامَتُهُ ؛
وَكَنَانَتُهُ ^(٩) أَمَاتَتُهُ ؛ وَحَرْبَتُهُ ، دُرْبَتُهُ ^(١٠) .

(١) الممععة : صوت الأبطال في الحرب .

(٢) وُطِّنَ نَفْسُهُ عَلَى الْأَمْرِ وَلَهُ : مَهَّدَهَا لِفَعْلِهِ وَخَمَلَهَا عَلَيْهِ .

(٣) أَسَمَ فَعَلَ أَمْرًا بِمَعْنَى : أَنْزَلَ .

(٤) تَوَرَّدَ الْمَاءُ : وَرَدَهُ .

(٥) الْبَيَاتُ : الْإِيْقَاعُ بِالْعَدُوِّ لَيْلًا .

(٦) شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ كَمَا يُقَالُ . وَهِيَ الْجَنَّةُ عِنْدَ الْهِنُودِ .

(٧) الْيَلْبُ : الدَّرُوعُ الْيَمَانِيَّةُ .

(٨) الصِّمَامُ وَالصِّمَامَةُ : السِّيفُ الَّذِي لَا يَنْثَنِي .

(٩) الْكَنَانَةُ : جَعْبَةُ السَّهَامِ .

(١٠) الدَّرْبَةُ : الْإِخْتِبَارُ وَالتَّجَرُّبَةُ .

الحياة

الْقَبَسُ ^(١) ، وَالنَّفْسُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ ؛ ظَاهِرُهَا هَذِهِ الْجِيْفَةُ ^(٢) ،
وَبَاطِنُهَا النَّفْسُ الشَّرِيفَةُ ؛ تَبِيعَةُ الذَّنْبِ الْقَدِيمِ ^(٣) ، وَأَثَرُ آدَمَ عَلَى
الْأَدِيمِ ^(٤) ؛ فَيَا طَرِيدَ الْقَدَرِ ^(٥) ، وَنَفَى الْخُطَرِ ^(٦) ، وَأَبَا الْبَشَرِ ؛ مَا أَطْوَلَ
ذَمَاءَكَ ^(٧) ، وَأَدْوَمَ مَاءَكَ ، وَمَا أَكْثَرَ بَنَاتِكَ وَأَبْنَاءَكَ ، وَأَقْلَّ اهْتِمَامَكَ
بِهِمْ وَاعْتِنَاءَكَ ! وَلَدْتَ لِلْمَوْتِ ، وَأَوْجَدْتَ لِلْفَوْتِ ؛ تَقَسَّمَ الْقَبَسُ
نُفُوسًا بِلَا عَدَدٍ . وَتَفَرَّقَ النَّفْسُ فِي شَتَّى الْوَادِ ؛ فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ
اسْتَقْلَمَهُمَا صَلَاصَالُكَ ^(٨) ، وَكَيْفَ قَوَّيْتَ عَلَيْهِمَا أَوْصَالَكَ ^(٩) ؟ آمَنَّا
بَأَنَّكَ الْجَنَّةَ ، فَهَلْ لِهَذَا التَّدْفِيقِ حَدٌّ ، أَمْ مَا لِأَمْرِ اللَّهِ مَرَدٌّ ؟

(١) شعلة تؤخذ من معظم النار .

(٢) المراد بالجيفة : الجسم الذي لا يلبث أن يموت حتى يجف .

(٣) ذنب آدم يوم أكل في الجنة من الشجرة التي نهى عن أكل ثمرها .

(٤) الأديم : وجه الأرض .

(٥) الخطاب لآدم .

(٦) النفي . ماجفأت به القدر عند الغليان . والحظر : جمع حظيرة ، والمراد بها

هنا الجنة .

(٧) الذماء : بقية النفس .

(٨) استقل الشيء : حمله . والصلصال : الطين الحر خلط بالرمل .

(٩) الأوصال : الأعضاء .

الحياة أيضا

أحقُّ أنها هي الدَّمُّ حتى يجمد؟ وأنها هي الحرارة حتى تبرد؟ وأنها هي الحركة حتى يقطعها السكون؟ وأنها هي الجاران (١) حتى تفرق بينهما المنون؟

الحقُّ أن أفتئات (٢) الفلسفة ، على ضنائن الله (٣) سَفَهه ، وأن علم الحياة عند الذي يهبها ويستردُّها ، والذي يقصرُها (٤) ويمدُّها ، والذي يُخلِّقها (٥) ويستجدُّها : والذي كلُّ حيٍّ سواه يموت ، وكلُّ شيءٍ ما خلاه يفوت .

(١) الجاران : الروح والجسد . والمتنبى يقول :

« ومفترق جاران دارُهُما أُمُمر »

(٢) افتئات عليه : اختلق عليه الباطل .

(٣) ضنائن الله عز وجل : ما اختص ذاته بعلبه من الأمور .

(٤) قصر الشيء : يقصره : جعله قصيراً .

(٥) يُخلِّقها : يُبْلِيا .

الْحَيَاةُ أَيْضًا

ماذا أقولُ في آتية الموتِ وأُمِّه ، وعِلَّةِ حُكْمِهِ ، وَنَبْعَةِ سَهْمِهِ (١) ،
وَمَنْقَعَةِ سُمِّهِ ؟ (٢) وكيفَ القولُ في صَاحِبَةِ (٣) ، لم تُمَلِّكْ عن خِطْبَةِ (٤)
ولم يُنِّبْ بِهَا (٥) عن رَغْبَةٍ ، ولم تَبْنِ (٦) لِمَلالِ صُحْبَةٍ أو بِغُضَّةٍ (٧) بعد
مَحَبَّةٍ : تَسِيءُ ولا تُفَرِّكُ (٨) ، ولولا الموت لم تُتْرَكَ ؟ .

(١) النبعة : القوس .

(٢) مَنْقَعَةُ السَّمِّ : الإِنَاءُ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ .

(٣) المراد بالصاحبة هنا : الزوجة . والمقصود بها الحياة . وقد شبه المؤلف

الجسم والروح في هذه الجملة وما بعدها ، ثم مضى في التشبيه بين وجوه الخلاف .

(٤) أى لم تزوج للجسم بعد طلب يدها كالعادة في كل زواج .

(٥) بنى الرجل على أهله : زفت إليه .

(٦) بانث المرأة عن الرجل : انفصلت عنه بإطلاق .

(٧) البغضة : شدة البغض .

(٨) أى لا تفرك . والفرك خاص ببغضة الزوجين .

اللِّسَانُ

مضغة^(١) لحم ، في عَظْم ؛ سَمَّاها الناس اللسان ، وعظموها لفضيلة
البيان ، فقوّموها بنصف الإنسان ؛ عضلُ نبت من الحُلُقُومِ وقناتِهِ ،
وثبتت في أصل لَهَاتِهِ^(٢) ، ولبتت في السجنِ ظُمٌّ حَيَاتِهِ^(٣) ، لا يتحرّك
منه سوى شَبَابَتِهِ^(٤) ؛ رسولُ العَقل ، في النُّقل ؛ وأداة الدِّماغ ، في
البلاغ ؛ وترجمانُ النفس في رواية العاطفة ، وحكاية الصَّخْرِ والعاصفة ؛
الوَحْيُ على عَذَابَاتِهِ^(٥) ظَهَرَ ، وَمَنْ جَنَابَاتِهِ آنَحَدَرَ ؛ فكان أوّل من سَفَرَ^(٦)
بين الخالق وبين البشر ، ثم فُجِّرَ بالحكمة فانفجر ، ثم علم الشعر فشعر ،
فسبحان الذي خلقه ، وعلّمه ، والذي قيّده وأطلقه ، والذي أسكته
وأنطقه . والذي يُمَيِّتُهُ فيندَثِرُ ، والذي هو على بَعْثِهِ مُقْتَدِرُ .

(١) المضغة : القطعة .

(٢) اللهاة : اللحم المشرقة على الخلق في أقصى سقف الفم ، أو ما بين منقطع
أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم .

(٣) ظم الحياه : من الولادة إلى وقت الموت .

(٤) الشبابة : الطرف .

(٥) العذابات : الأطراف من كل شيء .

(٦) سَفَرَ الرجل : خرج إلى السفر .

البيانات

رَحِيقُ النَّبِيِّينَ^(١)، وإِيرِيقُ الْعَبَقَرِيِّينَ^(٢)، وحُظُّ المَرْزُوقِينَ، ونَصِيبُ الْمُؤَفَّقِينَ، وَذُرَا الْجَمَالِ^(٣)، وَذُرَا الْكَمَالِ^(٤)، والتَّوْفِيقُ الَّذِي لَا يُنَالُ، بِسُلْطَانٍ وَلَا مَالٍ، وَالْخُلْدُ^(٥) الَّذِي يُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ وَغَيْرُهُ يُؤْخَذُ بِالشَّمَالِ؛ صَدِيقُ الْبَشَرِيَّةِ، وَعَدُوُّ الْجَبَرِيَّةِ^(٦)، حَادِي الْإِنْسَانِيَّةِ، السَّائِقُ بِالْمُطِئَةِ، حَتَّى تَبْلُغَ الطَّيِّئَةَ^(٧)، يَمُرُّ بِهَا عَلَى الْخَيْرِ وَرُبُوعِهِ، وَالْبَرِّ وَيَنْبُوعِهِ، وَيُقْبَلُ بِهَا عَلَى الْحَقِّ وَقَبِيلِهِ^(٨)، وَيَعْدِلُهَا إِلَى الْعَدْلِ وَسَبِيلِهِ، وَيُلِمُّ بِهَا عَلَى الْجَمَالِ وَمَغْنَاهُ، وَغُرَفُ لَفْظِهِ تَحْتَ حُورِ مَعْنَاهُ^(٩)، وَيَلِجُ بِهَا عَلَى الْعَوَاطِفِ، حَنَائِيا الضُّلُوعِ الدَّوَاطِفِ^(١٠)، وَهُوَ الْمَلِكُ عَلَى كُلِّ

(١) الرَحِيقُ: الخمر، وقد شبه بها المؤلف بلاغة الانبياء بجماع التأثير في كل ؛ هذا في العقول، وهذه في الارواح .

(٢) أي الإِيرِيقُ الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ الْعَبَقَرِيُّونَ فَيَمْطَرُونَ النَّاسَ رَوَائِعَ الْحِكْمَةِ وَفَصْلُ الْخُطَابِ .

(٣) الذَّرَا: المُلْجَأُ .

(٤) الذَّرَا: جَمْعُ ذُرَّةٍ، وَهِيَ الْقَمَّةُ .

(٥) الْخُلْدُ: دَوَامُ الْبَقَاءِ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ هُنَا الذِّكْرُ الْخَالِدُ .

(٦) الْجَبَرِيَّةُ: الْجَبَرُوتُ .

(٧) الطَّيِّئَةُ الْجِهَةُ الَّتِي إِلَيْهَا تَطْوِي الْبِلَادُ .

(٨) الْقَبِيلُ: الْجَمَاعَةُ مِنْ أَقْوَامٍ شَتَّى .

(٩) يُقَالُ: هَذَا الْبَيْتُ تَحْتَ سَاكِنِهِ فُلَانٌ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ يَكُونُ اللَّفْظُ تَحْتَ مَعْنَاهُ .

(١٠) الدَّوَاطِفُ مِنَ الْأَضْلَاعِ: مَا دَنَا مِنَ الصَّدْرِ .

اللُّغَاتِ ، قَدْ انْتَظَمَ سُلْطَانُهُ أَقْطَارَ الْبَلَاغَاتِ ، إِذَا انْتَقَلَ مِنْ لِسَانٍ إِلَى لِسَانٍ ،
فِي أَمَانَةٍ مِنَ النَّاقلِ وَإِحْسَانٍ ، أَسْرَعَ فِي مُضَاهَاةِ^(١) وَتَمَكَّنَ فِي جِهَاتِهِ ،
تَمَكَّنَ اللَّسَانُ مِنْ لَهْزِهِ^(٢) ، فَكَانَهُ التَّغْرِيدُ أَوْ الْبَغَامُ^(٣) ، أَوْ مَنْطِقُ
الْأَنْغَامِ ، تَرْجِعُ لَهُ الْأُمَمُ ، وَإِنْ ذَهَبَتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِكَلَامٍ .

المال

يا مال : الدنيا أنت ، والناس حيث كنت ؛ سَحَرَتِ القُرُونُ ،
 وسَحَرَتِ من قارون ، وسَعَرَتِ النارَ يا نبيرون ^(١) ؛ تَعَوَّدَ الحِقْدُ أن
 يخالفك ، وأبى الحسدُ أن يُخالفَكَ ، وَكُتِبَ على الشرِّ أن يخالفَكَ
 ويؤلفَكَ ؛ الفتنة إن حَرَكْتَهَا أَتَقَدَّتْ ، وإن تَرَكْتَهَا رَقَدَتْ ؛
 والحَرْبُ وهى الحَرْبُ ^(٢) ، تَبَعُهَا ذَاتَ لَهَبٍ ، منك الرِّيحُ ومنك
 الحطْبُ ؛ تُزْرِى بالسَّكْرَامِ ، وتُغْرِى بِالْحَرَامِ ، وتُضْرِى ^(٣) بالإجْرَامِ ؛
 فَقْدَانُكَ العُرْ ^(٤) والضَّرُّ ، وَنَكَدُ الدُّنْيَا على الحُرِّ ؛ حَالِكٌ وَحَالُ النَّاسِ
 عَجَبٌ : تَمْلِكُهُمْ مِنَ المَهْدِ ، ويقولون أَصَبْنَا وَمَلَكْنَا ؛ وَتَرُثُهُمْ عِنْدَ
 اللَّحْدِ ، ويقولون وَرَثْنَا وَتَرَكْنَا ! من عَاشَ قَوْمُوهُ بِمَا مَلَكَ ، ومن
 هَلَكَ ، تَسَاءَلُوا : كَمْ تَرَكَ ؟ المحْرُومُ من أَوْثَقَكَ ، والضَّائِعُ من أَطْلَقَكَ ،
 وهما فقيران : مَنْ جَمَعَكَ وَمَنْ فَرَّقَكَ ؛ كَثِيرُكَ هَمٌّ ، وَقَلِيلُكَ غَمٌّ ؛

(١) سحر النار : وقدها . ونبيرون : قيصر من قياصرة الرومان أشعل النار في
 روما ، وأشرف عليها من جبل لبيتج بمنظر الحريق ، وقد ضرب به المثل من هذا
 اليوم في القسوة والظغيان .

(٢) الحَرْبُ : الهلاك .

(٣) أَضْرَى فلاناً بالشر . أَغْرَاهُ بِهِ .

(٤) العُرُ . الجَرْبُ .

ومع التوسط الخوف والطَّمَع ، والحِرْص والجشع ، حذر النفاق ،
ورغبة في الازدياد ، المَلِكُ سوقةٌ إذا نزل إليك ، والسُّوقَةُ مَلِكٌ
إذا علا عليك ، أرخصت الجمال ، ونقصت السَّكَمَ ، وخطبت لهجن
الرجال هجان ربَّات الحِجَال^(١) ، صونجبانك هُنَّ المفضلات ،
وغيرهنَّ المتروكات المفضلات^(٢) ، العريان من ليس دونك منه
سترة ، والمستضعف من ليس له منك قدرة ، فسبحان من قهر بك
الخلق ، وقهرك برجال الخلق .

(١) سوقة : ملكة . سوقة : ملكة . سوقة : ملكة . (١)

(٢) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٢)

(٣) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٣)

(٤) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٤)

(٥) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٥)

(٦) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٦)

(٧) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٧)

(٨) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٨)

(٩) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (٩)

(١٠) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (١٠)

(١١) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (١١)

(١٢) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (١٢)

(١٣) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (١٣)

(١٤) هجان : هجان . هجان : هجان . هجان : هجان . (١٤)

الأَهْرَامُ

ما أنت يا أهرام ؟؟ أشواهِقُ أجرام^(١) ، أم شواهِدُ إجرام^(٢) ؟
وأوضح معالِم^(٣) ، أم أشباح مَظالم ؟ وجلائلُ أُنْيَة وآثار ، أم دلائلُ
أُنانيةٍ وأستِثْثار^(٤) ؟ وتمثالُ مُنْصَبٍّ من الجَبَرِيَّة^(٥) ، أم مثالُ ضاح^(٦)
من العبقرية ؟ يا كليلَ البصر ، عن مواضعِ العِبر ، قليلَ البَصَر^(٧)
بمواقع الآياتِ الكُبرى : قف ناجِ الأحجارِ الدَّوَّارس ، وتعلَّم فإن
الآثارَ مدارس ؛ هذه الحجارة حِجورٌ لِعِيبِ عليها الأوَّل ، وهذا
الصفَّاحُ صفائحُ ممالك ودول^(٨) ؛ وذلك الرُّكامُ^(٩) من الرَّمال ، غُبَارُ
أُحْداج^(١٠) وأَحمال ، من كلِّ رَكْبٍ أَلَمَ ثَمَّ مال^(١١) ، في هذا الحَرَمِ

(١) الاجرام : الاجسام . والشواهِق : المرتفعة .

(٢) يشير المؤلف إلى ما ارتكب بانوها من ظلم وإرهاق وتسخير .

(٣) الاوضح : الفرر . والمعالم : ما يستدل بها على الطريق من آثار .

(٤) استأثر بالشئ على غيره : استبد به وخص به نفسه .

(٥) الجبروت .

(٦) الضاحى هنا : بمعنى البارز .

(٧) البصر : العلم .

(٨) الصفاح : الحجارة العريضة . والصفائح : حجارة غراض رقاق تسقف بها

القبور ، والمراد بها هنا نفس القبور ، من تسمية الكل باسم جزئه .

(٩) الركام : المتراكم .

(١٠) الاحداج : جمع حدج وهو الخل ، أو مركب من مراكب النساء .

(١١) الركب : ركاب الخيل والإبل . وألم بالقوم : زارهم زيارة قصيرة ، وفي =

درج عيسى صبيًا^(١)، ومن هذا الهرم خرج موسى نبيًا، وفي هذه الهالة طلع يوسف كالقمر وضيًا^(٢)، ووقعت بين يديه الكواكب جسيًا^(٣)، وههنا جلال الخلق وثبوته، ونفاذ العقل وجبروته، ومطالع الفن ويوثه، وههنا تتعلم أن حسن الشاء، مرهون بإحسان البناء.

== أجزاء هذه الفقرة استعارة شبت فيها كل دولة بركب لا يلبث أن يحط حتى يشذ الرحال وشبت الزمال في أرض الأهرام بما يتخلف عن أحمال هذا الركب من غبار، ولا يخفى ما في الفقرة بأكملها من مراعاة النظر.

- (١) يشير المؤلف إلى المدة التي أقامها السيد المسيح مع أمه وهو طفل في المكان الذي يطلق عليه الآن «شجرة مريم»، بمطرية الزيتون. (٢) الوضي: الوضي، وهو الحسن النظيف. (٣) جسيًا: جمع جاث، وهو الجالس على ركبته، وهذا إشارة إلى حلم يوسف عايمه السلام: (يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين).

الأمس

أمس ما أمس ؟ خَطْوَةٌ إِلَى الرَّمْسِ ^(١) ، خِرْزَةُ هَوْتٍ عَنِ
السَّلَكِ ، أَغْلَى مِنْ خَرَزَاتِ الْمُلْكِ ^(٢) ؛ صَحِيفَةٌ طُوِيَتْ وَالصَّحْفُ
قَلَائِلُ ، مِنْ كِتَابِ الْعُمَرِ الزَّائِلِ ؛ ثُلَّةٌ ^(٣) فِي الْجِدَارِ ، وَهَتْ لَهَا
الْدَارُ ، وَأَنْتِ غَيْرُ دَارٍ ، جِزْءٌ مِنْ عَمْرٍكَ حَضَرَتْ وَفَاتَهُ ، وَقَبَرَتْ
بِيَدِكَ رُفَاتَهُ ^(٤) ، لَمْ تُرْقِ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ وَلَمْ تُشِيعْهُ بِالتَّفَاتَةِ ، وَهُوَ الْقَاعِدَةُ ^(٥)
الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا الْعُمَرُ ، وَالْحَبُّ الَّذِي يَنْبُتُ عَلَيْهِ الشَّجَرُ ، وَيَخْرُجُ مِنْهُ
الثَّمَرُ ، وَهُوَ الْخَبْرُ وَالْآثَرُ ، وَالْكِتَابُ وَالسَّيَرُ ، وَالْأُشَى ^(٦) وَالْعَبِيرُ ،
وَهُوَ أَبُو يَوْمِكَ ، وَالْوَلَدُ سُرُّ أَيْيَسِهِ ، وَجَدَّ غَدُكَ ، فَاجْعَلْهُ النَّيْلَ فِي
الْجُدُودِ النَّيِيهِ .

(١) الرمس : القبر مستويًا مع وجه الأرض . قلنا لا سائر له .

(٢) خرزات الملك : جواهر تاجه .

(٣) الثلثة في الجدار : الخلل .

(٤) الرفات : الحطام .

(٥) قاعدة البيت : أساسه .

(٦) الأُشَى : جمع أسوة : وهي ما يتعزى به الحزين .

اليوم

طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَنُفِضَتِ الْخُمْسُ ^(١) ، مِنْ تُرَابِ أُمْسٍ ،
وَأَنْصَرَفَ بَنُو الْأَيَّامِ مِنَ الْجَنَازَةِ ، وَقَدْ هَانَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ الرَّاحِلُ ،
كَأَنَّ هَانَ عَلَى الْمَسَافِرِ مَطْوِيَّ الْمَرَاكِحِ ^(٢) ، فَلَا الْعِبْرَةَ أَرَاقُوا ، وَلَا عَلَى
الْعِبْرَةِ أَفَاقُوا ؛ شَغَلَتْهُمْ دُنْيَاهُمْ وَأَمِنُوا مَنِيَاهُمْ ، وَأَلْهَاهُمْ هَوَاهُمْ ،
فَهَلَكُوا دُونَ مَنَاهُمْ ؛ فَسَبَّحَانَ الَّذِي أَلْهَى بِالْأَمَلِ ، وَشَغَلَ بِالْعَمَلِ ،
وَاسْتَنْهَضَ الْإِنْسَانَ لِأَعْيَابِ الْيَوْمِ فَحَمَلَ ؛ وَالَّذِي جَعَلَ الْأَمْسَ أَحَادِيثَ ،
وَمَوَارِيثَ ؛ وَجَعَلَ الْيَوْمَ مَجَالَ النَّاهِضِ النَّاهِزِ ^(٣) ، وَجَعَلَ غَدًا يَوْمَ
الْعَاجِزِ ؛ فَيَا بَنَ الْأَيَّامِ لَا تَعْقِدْ مَنَاحَةَ الْأَمْسِ ، وَلَا تَقْعُدْ تَحْرُسَ
الرَّمْسِ ؛ وَلَا تُفْسِدْ شُغْلَ الْيَوْمِ بِالْإِرْجَاءِ ^(٤) ، وَلَا تُثَقِّلْ عَلَى غَدٍ كُلِّ
الرَّجَاءِ ؛ وَاعْمَلْ فِي يَوْمِكَ مَا أَمَكَنَ الْعَمَلُ ، وَتَمَتَّعْ بِهِ مَا تَسْنَى التَّمَتُّعُ ؛
فَمَا تَعْلَمُ مَا قُدَّامُكَ مِنْ عَوَاقِقَ ، وَلَا مَا دُونُكَ مِنْ بَوَاقِقَ ^(٥) ،
وَمَا تَدْرِي : أَعَوَّامُ حَيَاتِكَ أَمْ دَقَائِقُ ؟ .

(١) الخمس : أصابع اليد .

(٢) طوى المرحلة : قطعها .

(٣) الناهز : الذي يغتم الفرص .

(٤) الإرجاء : التأخير .

(٥) البواقق : المصائب .

الْغَدُّ

غُيُوبٌ مُحَجَّوَةٌ، وَحُجُبٌ مُضْرُوبَةٌ، وَأَفْدَارٌ مَكْتُوبَةٌ؛ أَعْمَارٌ مُوَهَّوَةٌ،
أَوْ مُنْهَوَةٌ، وَأَرْزَاقٌ مُجْلُوبَةٌ، أَوْ مُسْلُوبَةٌ؛ بَرِيدُ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ، مَوْعِدُهُ
حَوَاشِي الْأَسْحَارِ^(١)، أَوْ غُرَّةُ النَّهَارِ^(٢)؛ حَمَلَتِ الْفَجَاءَاتِ نَجَائِبُهُ^(٣)،
وَاشْتَمَلَتْ عَلَى الْمُسْتَجِدَّاتِ حَقَائِبُهُ^(٤)، وَبَلَغَتْ مُسْتَقَرَّهَا مُغْرَبَاتُهُ^(٥)
وَجَوَائِبُهُ^(٦)؛ أَقْبَلَ فَفَضَّ الْمُخْتَوْمَ، وَظَهَرَ الْمَكْتُومَ، وَأَنْفَجَرَ الْمُخْتَوْمَ؛
وَإِذَا مَنَاعٍ وَبَشَائِرٍ، وَإِذَا دَوْلَاتٍ^(٧) وَدَوَائِرٍ^(٨). وَاعْلَمْ يَا ابْنَ الْآيَامِ
أَنَّ الْغَدَّ أَعَدَّهُ اللَّهُ لَكَ خَيْرَ مَا أَعَدَّهُ، وَمَدَّهُ لَكَ أَيْمَنَ^(٩) مَا مَدَّهُ؛ هُوَ
الشَّخْصُ الثَّلَاثُ، فِي رَوَايَةِ الْآيَامِ وَالْحَوَادِثِ^(١٠) وَالْخَلْفُ مِنْ صَاحِبِيهِ
وَالْوَارِثُ؛ وَهُوَ مَعْقَدُ الْآمَالِ^(١١)، وَمَوْعِدُ اسْتِثْنَائِ الْأَعْمَالِ، وَمَرْمَى

(١) السحر: قبيل الصبح.

(٢) غرّة النهار: أوله.

(٣) النجائب: جمع نجيبة، يقال: ناقة نجيبة، أى كريمة الأصل.

(٤) الحقائق: جمع حقيقة، وهى خريطة يعلفها المسافر فى الرحل الزاد ونحوه.

(٥) و (٦) المغربات: الأخبار الطارئة، والجواب كذلك.

(٧) دولات الأيام: انقلابها من حال إلى حال.

(٨) الدوائر: الدوامى.

(٩) أيمن - من الأيمن: وهو البركة.

(١٠) شبه الحياة برواية أبطالها ثلاثة: الأمس واليوم والغد.

(١١) معقد الآمال: موضع انعقادها.

هَمَّةٌ (١) المال ، تنام الأنفس وفي إيمانها منه شك ، وفي إيمانها منه
صَكٌّ (٢) ، فاعمل له ما استطعت ، وانتظره أتى أم لم يأت ؛ وقل سبحانه
الذي أتى به ، والذي هو قادرٌ على طَيِّ كتابه ، يوم يأتيه أمره ،
فلا يَرُزُّ من حِجَابِهِ .

المَسْجِدُ الْحَرَامُ

السَّاحَةُ الْكُبْرَى ، والدار اللَّمُومُ ^(١) ، والمَوْسِمُ الْحَاشِرُ ^(٢) الْمُنْتَدَى
والمؤْتَمَرُ ، وَمِثَابَةُ الزُّمَرِ ^(٣) ؛ إِبْرَةُ الْمُبْهِجِ ، وَنَجْمُ الْمُصْجِرِ ^(٤) ؛ قِبْلَةُ
الْبَدْوِيِّ فِي قَفْرِهِ ، وَوَجْهَةُ الْقُرَوِيِّ فِي كَفْرِهِ ^(٥) ؛ حَرَمُ اللَّهِ الْمُطَهَّرُ ،
وَبَيْتُهُ الْعَتِيقُ الْمُسْتَرَّ ^(٦) ؛ الَّذِي وَجَّهَ إِلَيْهِ الْوُجُوهَ ، وَفَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ
يَحْجُوهُ ؛ نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْمَسَاجِدُ فِي كُلِّ خَمْسٍ ^(٧) ، وَقَامَتْ إِلَيْهِ قِيَامَ الْحَرْبَاءِ ^(٨)
إِلَى الشَّمْسِ ؛ بَنَاهُ اللَّهُ بِمَكَّةَ عَلَى فُضَاءٍ زَكَّى لَمْ يَتَنَفَّسْ فِيهِ النَّاسُ ^(٩) ،
وَحَلَا إِلَّا مِنْ جُحَرٍ أَوْ كِنَاسٍ ^(١٠) ؛ فَلَا الدُّنْيَا سَجَبَتْ عَلَيْهِ غُرُورَهَا ،

(١) اللوم : التي تجمع الناس .

(٢) الحاشر : الجامع .

(٣) المثاب : مجتمع الناس بعد تفرقهم ومنه المثابة . قال تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ والزُّمَرُ : الأفواج المنفردة بعضها في إثر بعض .

(٤) الْمُبْهِجُ : راكب البحر . وَالْمُصْجِرُ : المسافر في الصحراء ، وعادة المبحر أن يهتدى إلى سبيله ببليت الإبرة « البوصلة » ، وعادة المصحِر أن يهتدى إلى غايته بالنجوم ، وقد شبه المسجد الحرام بالإبرة والنجم ، بجامع هداية السائر الحائر فيهما .
(٥) الكفر : القرية .

(٦) المستر : المغطى بالاستار .

(٧) الخمس هنا : الصلوات .

(٨) الحرباء : حيوان يستقبل الشمس ويدور معها ويتلون بلونها .

(٩) الفضاء الزكى . الصالح ، وتنفس الناس كناية عن وجودهم .

(١٠) الكناس : بيت الظبي في الشجر .

ولا النفوس نَقَلَتْ فِيهِ شُرُورَهَا ، وَلَا الْحَيَاةُ أَزَارَتْهُ بِاطْمِلَافِهَا وَزُورَهَا ،
لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَبْنَى بَيْتَهُ بِمَصْرَ عَلَى نَهْرٍ فَيَأْضُ ، وَوَادٍ كُلَّهُ قَطَعُ الرِّيَاضِ ،
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاتَّخَذَ بَيْتَهُ بِالشَّامِ بَيْنَ الْجَدَاوِلِ الْمُظْلَمَةِ ، وَالرُّبَى الْمَكَلَّةِ (١)
وَالْغُصُونِ الْمَهْدَلَةِ ، وَالْقُطُوفِ الْمَذَلَّةِ (٢) . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لَرَفَعَ
بَيْتَهُ عَلَى أَنْوَفِ الْجَبَابِرَةِ ، مَلُوكِ الْأَعْصَرِ الْغَابِرَةِ ، وَفَوْقَ هَامِ
أَلْهَتِهِمْ . وَهِيَ مَهْدَةٌ مُنْضَدَّةٌ (٣) ، فِي الْغُرَفِ الْمَشِيدَةِ ، وَالْقِبَابِ الْمُمَرَّدَةِ (٤) ،
وَلَكِنَّهُ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أُمِّ الْقُرَى (٥) ، فَرَأَى بِهَا ذُلًّا لِعِزِّ سُلْطَانِهِ ،
وَافْتِقَارًا إِلَى غِنَاهُ وَإِحْسَانِهِ ، وَرَأَى خُشُوعًا يَسْتَأْنِسُ بِهِ الْإِيمَانُ ،
وَتَجَرُّدًا تَسْكُنُ إِلَيْهِ الْعِبَادَةُ ، وَرَأَى أَنْفَرَادًا يَجْرِي فِي مَعْنَى التَّوْحِيدِ ،
فَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ حَوَارِيَهُ (٦) ، وَنَبِيَّهُ ، وَخَلِيلَهُ وَصَفِيَّهُ : أَنْ يَرْفَعُ بِذَلِكَ الْوَادِي
رُكْنَ بَنِيَّتِهِ (٧) ، وَيَنْصُبَ بَيْنَ شُعَابِهِ (٨) مَنَارَ وَحْدَانِيَّتِهِ ، بَنِيَانُ قَامَ

(١) الرُّبَى . الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ . وَالْمَكَلَّةُ . الْمُتَوَجَّةُ ، وَالْمَرَادُ أَنَّهَا مُتَوَجَّةٌ
بِالزَّهْرِ وَالْأَعْشَابِ .

(٢) الْقُطُوفُ : الثَّمَارُ . وَالْمَذَلَّةُ . الْمَدْلَاةُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا
تَذِيلًا ﴾ .

(٣) أَلْهَامُ : الرُّمُوسُ . وَالْمُنْضَدَّةُ : الْمُرَاصِفَةُ ، وَالْمَرَادُ بِالْآلِهَةِ هُنَا : الْأَصْنَامُ .

(٤) الْمُمَرَّدَةُ : الطَّوِيلَةُ الْمُلَسَّمَةُ .

(٥) مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ .

(٦) الْحَوَارِيُّ : الرَّسُولُ .

(٧) الْبَنِيَّةُ : السَّكْبَةُ .

(٨) الشُّعَابُ : الطَّرِيقُ .

بالضعف والقوة^(١)، ونهض على كاهل الكهولة وساعد الفتوة،
وأشتركت فيه الأبوة والبنوة، فكنت ترى إبراهيم يزاول^(٢)،
وإسماعيل بين يديه يناول، حتى بنيا حقاً أعياناً المعاول، وعجز عنه الذي
دمر تدمراً وأبلى بابل^(٣)؛ فانظر إلى صفاح الباطل كيف باد، وإلى
آجر الحق كيف أفتى الآباد؛ وتأمل عجائب صنع النية، وكيف ظفرت
لبنة^(٤) التوحيد بصخرة الوثنية؛ بني البيت وإذا الجلال حجبهُ وأستاره،
والحق حاطهُ وجدارهُ، والتوحيد مظهرهُ ومَناره، والنيون بناتهُ
وعُمَّارهُ^(٥)، والله عز وجلَّ ربُّه وجارهُ؛ اطلعت به «صلاح»^(٦)،
أطْلَعَ المشكاة^(٧) بالمصباح، فزهرَ فضاء البرّاح، وانتظم الهضاب
والبطّاح؛ أضوا من الشمس ذبالة، وأبهر من القمر هالة، في منازل
الشرف والجلالة؛ قد حاز الله له من نباهة الذكر، وخامة الشأن،

(١) ضعف الكهولة وقوة الشباب المائلان في إبراهيم وإسماعيل.

(٢) زاول الشيء: عالجهُ.

(٣) تدمر: قلعة مشهورة. وبابل: بلد بالعراق ينسب إليه السحر والخز. والذي
أهلك «تدمر» وأبلى «بابل» هو الدهر.

(٤) الصفاح: الحجر العريض. والآجر: ما يبنى به، وهو المعروف بالطوب.

(٥) اللبنة: ما يضرب من الطين للبناء.

(٦) العمار: السكان.

(٧) لقب من ألغاب مكة المكرمة.

(٨) المشكاة: الطاقة.

مالم يُحْزَ لَقَدِيمٍ مِنْ مَعَالِمِ الْحَقِّ وَلَا حَدِيثٍ - بِرُ الْعِبَادَةِ ، وَفَضِيلَةِ
 الْحِجِّ ، وَشَرَفِ الْبَنَانِ ، وَرَوْعَةِ السِّعْتِ ، وَجَلَالَةِ التَّارِيخِ ؛ يَقُولُ
 الْغَوَاةُ : لَوْ كَانَتْ السَّكْبَةُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، وَيَقُولُونَ : لَوْ كَانَتْ كَبِيعَ
 النَّصَارَى فِي عَوَاصِمِ الْغَرْبِ : رَفَعَةَ بَنَاءٍ ، وَدِيَابَجَةَ فَنٍّ ، وَوَشَى زُخْرُفٍ ١ .
 وَأَقُولُ لِلْغَوَاةِ : لَوْ تَرَكْتَ السَّكْبَةَ عَلَى فِطْرَتِهَا الْأُولَى ، فَلَمْ يُطَوَّلْ بِنَاؤُهَا ،
 وَلَمْ تُزَيَّنْ بِالذَّهَبِ أَجْزَاؤُهَا ، وَلَمْ تَتَعَدَّدْ فِي الزُّخْرُفِ أَشْيَاؤُهَا ؛ لَكَانَ
 بَعْبَقَرِيَّتُهَا أَلِيْقَ ، وَبُرُوحَانِيَّتُهَا أَشْبَهَ وَأَخْلَقَ ؛ وَفِي تَقْدِيرٍ قَدْ سَهَا ٢)
 غَايَةَ وَنَهَايَةَ .

(١) قوله تعالى : ١٢٤ : وَلَقَدْ

(٢) قوله تعالى : ١٢٤ : وَلَقَدْ

(٣) قوله تعالى : ١٢٤ : وَلَقَدْ

(٤) قوله تعالى : ١٢٤ : وَلَقَدْ

(٥) قوله تعالى : ١٢٤ : وَلَقَدْ

الشَّهَادَةُ

قصيدةٌ علويةٌ الرويِّ ، مطلعُها اللهُ ومقطعُها النبيُّ ؛ كلمةٌ هي الدين ، وهي كنهه^(١) اليقين ، وهي الحقُّ المبين ؛ أرسلها الأذان سمحةً سهلةً ، فقرت في الأذهان أولَ وهلة ؛ ولم لا ؟ وهي الحقيقةُ العريانة ، والصبحُ الذي عرَضَ عيانه^(٢) ، فكفى العيون برهانه وبيانه ؛ كانت شعار^(٣) الدَّاخلِ في الدين الجديد ، وجواز^(٤) الخارجِ إلى أقطار التَّوحيد ؛ ولم تزل مُقدِّمةَ الكتاب ، وفاتحةَ الخطاب ، ومفتاحَ الباب ، وحافةَ الغاب^(٥) ؛ إذنٌ سهلٌ ، وحجابٌ سمحٌ ، وساحةٌ فضلٌ لا تحجبُ مستأذنا ، ولا تتصعبُ على مُعالجٍ ، ولا تضيقُ بنزيلٍ ، ومن عبقريةِ الشَّهادة - أمانتنا اللهُ وإياكَ عليها - أنَّ حُسنَ الظنِّ بالله طالما أوقعَ في نفوسِ الجماعاتِ أنها أفضلُ عملٍ العبدِ عند ربِّه ، وأنها ربما قامتْ مقامَ الأداءِ عن سائرِ الفرائضِ ، حتى فرطَ المفرطون ، وهم عليها يتكلمون ، وتكثرُ من الخطايا المذنبون ،

(١) الكنه : الأصل والغاية .

(٢) العيان : الشخص .

(٣) الشعار : ما يعرف عند المولدين (بسر الليل) .

(٤) الجواز : صك المسافر .

(٥) الحافة : الجانب ، والمراد بالغاب هنا : مأوى الحق والتوحيد .

وهم يرجون عندها النجاة ويأملون . إذا حضر الموت هَوَّنَتْ لقاءه ،
وقلَّتْ هَوْلَ ما وراءه ، وجعلها الخائف أَمْنَهُ ورجاءه ، والقليل العزاء
أُسْوَتُهُ ^(١) وعزاه . وقَدَّمَهَا المَقْلُ ^(٢) بين يديه عملاً يرجو جزاءه .

بمعناها : ما يطمئن به القلب من الموت . فإذا حضر الموت هَوَّنَتْ لقاءه ،
وقلَّتْ هَوْلَ ما وراءه ، وجعلها الخائف أَمْنَهُ ورجاءه ، والقليل العزاء
أُسْوَتُهُ ^(١) وعزاه . وقَدَّمَهَا المَقْلُ ^(٢) بين يديه عملاً يرجو جزاءه .

له منتظر طرفة عين . والمنتظر : ما ينتظره القلب من الموت . فإذا حضر الموت هَوَّنَتْ لقاءه ،
وقلَّتْ هَوْلَ ما وراءه ، وجعلها الخائف أَمْنَهُ ورجاءه ، والقليل العزاء
أُسْوَتُهُ ^(١) وعزاه . وقَدَّمَهَا المَقْلُ ^(٢) بين يديه عملاً يرجو جزاءه .

(١) الأسوة : ما يمتزى به الحزين . (٢) القليل : ما يطمئن به القلب من الموت .

الصَّلَاةُ

(١) الطهارة :

كَمَالُ أَدَبِ الصَّلَاةِ ، وَتِمَامُ الخِدْمَةِ وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ ، عِنْدَ تَوَجُّهِ الْعَبْدِ إِلَى مَوْلَاهُ . شُرِعَتْ وَسِيلَةٌ ، وَسُنَّةٌ جَمِيلَةٌ ، وَصَالِحَةٌ وَفَضِيلَةٌ ؛ حُكْمُ حِكْمَتِهِ لَا تَمُتُ ، حَتَّى يَنْتَظِمَ النَّفْسُ وَالْجِسْمُ ؛ فَإِنْ جَمَعْتَ تَقَاءَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ فَأَنْتَ الَّذِي صَلَّى لَهُ ^(١) وَهُوَ طَاهِرٌ . وَلَوْ قُصِرَتِ الطَّهَارَةُ عَلَى وُجُوهِ تَغَسَّلَ ، وَأَرْسَاغٍ ^(٢) تَبَلَّلَ ، وَثِيَابٍ تَنْظَفُ وَتُجَمَّلُ ؛ لَكَانَ الْمَيِّتُ أَطْهَرَ مِنَ الْحَيِّ ^(٣) ؛ فَيَا أَصْحَابَ الْوُضُوءِ غَسَلْتُمُ الْجَوَارِحَ ^(٤) ، فَهَلْ غَسَلْتُمُ الْجَوَانِحَ ؟ وَرَحَضْتُمُ ^(٥) الْأَطْرَافَ ، فَهَلْ رَحَضْتُمُ الْأَجَوَافَ ؟ طَهَّرْتُمُ الرَّاحَ مِنَ الْأَنْجَاسِ ^(٦) ، فَهَلْ طَهَّرْتُمُوهَا مِنْ أَشْيَاءِ النَّاسِ ؟ وَنَظَّفْتُمُ مِنَ الطُّرُقِ ^(٧) الْأَقْدَامَ ، فَهَلْ نَظَّفْتُمُوهَا

(١) إلهاء ضمير الشأن .

(٢) جمع رسخ : وهو المفصل ما بين الساعد والكف .

(٣) لأن غسل الميت تام وكفنه من ثياب جدد .

(٤) جمع جارحة : وهي العضو المكتسب من أعضاء الإنسان .

(٥) غسَلْتُمُ .

(٦) الراح جمع راحة : وهي الكف .

(٧) المراد بالطرق هنا : ما يتعلق بالقدم من أقدارها .

من سبل الحرام ، ومساك الإجماع ؟ وتلك الوجوه الممسوحة
بالماء ، هل ترقق فيها الحياء ؟ وهل نُقِيت من وَضَرِ (١) الرياء ؟

(ب) الصلوة :

لو لم تكن رأس العبادات ، لعدت من صالحة العادات ؛ رياضة
أبدان ، وطهارة أردان (٢) ، وتهذيب وجدان ، وشقى فضاء ثل
يشب عليها الجوارى والولدان .

أصحابها هم الصابرون ، والمثابرون ، وعلى الواجب هم القادرون ،
عودتهم البكور ، وهو مفتاح باب الرزق ، وخير ما يعالج به العبد
مناجاة الرازق ، وأفضل ما يرود به المخلوق التوجه إلى الخالق ؛ ولهم
إليها بعد البكور روح ؛ فإذا هي تصرفهم عن دواعي الليل ومغرياته ،
وتعصمهم فيه من عوادي الفراغ ومغوياته ، والليل خلوات
وشهوات ، ويبت الغوايات .

وتجزئة الوقت مع الصلاة ملحوظة ، وقيمته عند الذين يقيمونها
محفوظة ، عودتهم أن يذكروه ، ويقدرّوه ، وأن يسوسوه في أعمالهم
ويدبرّوه ، والوقت ميزان المصالح ، وملاك الأمور ، ودولاب (٣)
الأعمال .

(١) الوض: الوسخ .

(٢) الرّدن : الغزل أو الخز ، والجمع أردان ، والمراد بها هنا : الثياب .

(٣) الدولاب : الآلة الدائرة .

أَنْظُرْ جَلَالَ الْجُمُعِ ، وَتَأْمَلْ أَثَرَهَا فِي الْمُجْتَمَعِ ، وَكَيْفَ سَاوَتْ
الرَّعِيَّةَ بِالزَّمْعِ ^(١) ؛ مَسَّتِ الْأَرْضَ الْجِبَاهُ ، فَالْنَّاسُ أَكْفَاءُ وَأَشْبَاهُ ،
الرَّعِيَّةُ وَالْوَلَاةُ ، شَرَعٌ ^(٢) فِي عَتَبَةِ اللَّهِ ؛ خَرَّ الْجَمْعُ لِلْبَنَاحِ خِرٌ ، فَالْصَفُّ
الْأَوَّلُ كَالْآخِرِ ، لَمْ يَرْفَعْ الْمُتَصَدَّرُ تَصَدُّرُهُ ، وَلَمْ يَضَعِ الْمُتَأَخَّرُ تَأَخُّرُهُ .

الصَّوْمُ

حَرَمَانٌ مَشْرُوعٌ ، وَتَأْدِيبٌ بِالْجُوعِ ، وَخُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ ؛
لِكُلِّ فَرِيضَةٍ حِكْمَةٌ ، وَهَذَا الْحُكْمُ ظَاهِرُهُ الْعَذَابُ وَبَاطِنُهُ الرَّحْمَةُ ،
يَسْتَشِيرُ الشَّفِيقَةَ ، وَيَحْضُ عَلَى الصَّدَقَةِ ؛ يَكْسِرُ الْكِبْرَ ، وَيُعَلِّمُ الصَّبْرَ ،
وَيَسِّنُ خِلَالَ الْبَرِّ ؛ حَتَّى إِذَا جَاعَ مَنْ أَلْفَ شَبَعٍ ، وَحُرِمَ الْمُتَرَفُّ
أَسْبَابَ الْمُتَمَتِّعِ ، عَرَفَ الْحَرَمَانَ كَيْفَ يَقَعُ ، وَالْجُوعَ كَيْفَ أَلَمُهُ
إِذَا لَذَعَ .

الْحَرَمَانُ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ . وَتَأْدِيبٌ بِالْجُوعِ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ . وَخُشُوعٌ لِلَّهِ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ . وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ .

الْحَرَمَانُ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ . وَتَأْدِيبٌ بِالْجُوعِ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ . وَخُشُوعٌ لِلَّهِ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ . وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ : هُوَ الْوَجْدَانِ الْمَشْرُوعَانِ ، وَهُمَا : خُشُوعٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِرَبِّهِ .

الزَّكَاةُ

حَزْبُ (١) الاشتراكية ، وحربُ البلْشُفِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ :

أَمَرَ اللَّهُ فَصَلَيْتُمْ ، وَنَهَى الْمَالَ فَهَازَكَيْتُمْ ؛ فَرَّقْتُمْ بَيْنَ الْخُمْسِ (٢)
وَكُلِّهَا حُكْمُ الْوَاحِدِ ، فَلِكُلِّ أَلْفٍ مُصَلٍّ مُزَكٍّ وَاحِدٌ ! أَمْسَهَلْتُمْ
فَأَخَذْتُمْ ، وَاسْتَضَعَبْتُمْ فَنَبَذْتُمْ ؛ فَلَوْ دَخَلَ الْمَالُ فِي الصَّلَاةِ ، لَأَقْفَرَتْ
مِنْكُمْ مَسَاجِدُ اللَّهِ ! وَلَوْ غَرَّمَ أَحَدُكُمْ عَلَى الشَّهَادَةِ ، لَسَكَانَ بِهِ عَنْ
نُطْقِهَا زَهَادَةٌ (٣) ! أَعْلَيْتُمْ أَنَّ الزَّكَاةَ قُرُوضٌ (٤) ؟ وَأَنَّهَا وَقَاءُ
الْأَعْرَاضِ وَالْعُرُوضِ (٥) ؟ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِالْعَبَثِ الْمَفْرُوضِ ؟ هِيَ مَالُ
الْفَقِيرِ خَلَسْتُمُوهُ (٦) ، وَرَزَقُ الْمَحْرُومِ حَبَسْتُمُوهُ ، وَحَقُّ الْعَاجِزِ فِي
الْحَيَاةِ بَخَسْتُمُوهُ ، وَحُكْمُ اللَّهِ الَّذِي أَغْنَاكُمْ قَدْ دُسْتُمُوهُ ؛ تُقْرِضُونَ (٧)
الْوَلَاةَ ، وَلَا تُقْرِضُونَ اللَّهَ ، وَتُنْفِقُونَ تَمَلَقًا لِأَهْلِ الْجَاهِ ، وَلَا
تُنْفِقُونَ تَعَلُّقًا بِالنَّجَاةِ .

(١) الحزب : النصير . (٢) المراد بالخمس : أركان الإسلام .

(٣) زهد فيه زهادة : رغب عنه .

(٤) القروض : جمع قرض ، وهو ما أسلفت من إساءة أو إحسان .

(٥) الوقاء : الدرع . والعروض : الامتعة . والأعراض : مواضع المدح والذم

من الإنسان .

(٦) خلس الشيء : أخذه مخاتلة . (٧) أقرضه : أعطاه قرضاً .

الحج

مَوْكِبُ الْإِسْلَامِ وَمَظْهَرُهُ ، وَلُبَّابُ حَسْبِهِ وَجَوْهَرُهُ ، وَمَوْسَمُهُ
الْحَرَامُ أَشْهَرُهُ . مَهْرَجَانُهُ الْعَظِيمُ ، وَعُرْسُهُ الْفَخِيمُ ، وَنَدِيَّةُ^(١) الْكَرِيمِ ،
وَالنَّظْمُ الَّذِي قَرَنَ فِيهِ الدُّنْيَا إِلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ ، فَجَعَلَهُ لَهَا صِلَاحًا
وَعِمَارَةً ، وَمَلَأَهَا يُيَمِّنُهُ نَمَاءً وَيَسَارَةً^(٢) ، وَأَفَاضَ بَرَكَاتِهِ عَلَى
التِّجَارَةِ ؛ وَسَخَّرَهَا لخدمَتِهِ ، وإِظْهَارِ دَعْوَتِهِ ، وَجَمَعَ كَلِمَتِهِ ،
وَتَوَثَّقَ عُرْوَتِهِ ؛ فَإِذَا أَظَلَّتْ أَيَّامُ الْحَجِّ الْمُبَارَكَاتِ نَظَرْتَ إِلَى الْبِلَادِ
فَرَأَيْتَ أَسْوَاقًا مَاجَتْ ، وَمَتَاجِرَ رَاجَتْ ، وَمَطَايَا مِنْ مَرَابِضِهَا
أَهْتَاجَتْ ؛ وَرَأَيْتَ الْحِجَازَ مُهْتَزَّ الْمَنَاكِبِ ، يَمُوجُ بِالْمَوَاكِبِ ؛ مَفْتَرَّ
الْمَبَاسِمِ ، فِي وَجْهِهِ الْمَوَاسِمِ ؛ أَخْلَفَهُ الْغَيْثُ^(٣) فَمَطَرَ الذَّهَبَ ، وَيَبَسَ
الزَّرْعَ فَطَعِمَ الرُّطْبَ ؛ أَزْوَادُ^(٤) تُعَدُّ ، وَرِحَالُ تُشَدُّ ، وَشُرُوعُ تُمَدُّ ،
وَحَاجَاتُ تَنْشَأُ وَتَسْتَجِدُّ ؛ وَأُمَمٌ أَتَوْا مِنْ نَوَاحِي الْبِلَادِ ، يَضْعَوْنَ
التُّحَفَ الْمَجْلُوبَةَ ، وَيَأْخُذُونَ الْأَجَرَ وَالْمَثُوبَةَ .

فَيَأْتِيهَا الْمُعْتَزِمُ حَجَّ الْبَيْتِ ، الْمُسْتَمِرُّ لِادَاءِ الْفَرِيضَةِ : لَقَدْ أَطْعَمَ ،

(١) الندى : المجلس .

(٢) اليسارة : الغنى .

(٣) الغيث : المطر . وأخلفه : لم ينزل به .

(٤) الأزواد : جمع زاد : وهو طعام السفر .

فهل أستطعت ؟ وأجبت فهل تأهبت ؟ وهل علمت أن الإسلام شرعة السَّاحة ، وأن ربَّ البيت واسع السَّاحة ؟ يُعفى المريض حتى يُعافى ، ويُقيل المُعَدِّم حتى يجِد ، ولا يؤاخذُ أخا الدِّين حتى يَقْضِي دينه ، ولا يُنْكَر على الخائف القرار^(١) حتى تأمن السَّيل ، من وباء مهتاج ، أو لصوص قد أخذوا الفجَّاج^(٢) ، أو حكومة جائرة تَبْزُ الحُجَّاج ؟

كُبرَى الكِبائر أن تلقى الله في بيته وبين وفده بمال خَلَسْتَه من أحدِ اثنين يُجِبُّهما الله حبًّا جما : اليتيم - وأنت تعلم أن ماله نار ، وأنه نَحْسُ الدرهم نَحاسِ الدِّينار^(٣) . والفقير - وقد فرض الله له في مالك حصَّة سَمَّاها الزَّكاة ، فتغايبت يا مُخادَع الله ، وخرجت بها تُحجُّ للتظاهر والمباهاة ؛ وهل علمت أن الله لا يقبلُ منك مالا ونَفَقَةً المَطلقة ، من مَطلٍ مُعلَّقة ؛ وذو القُربى ورايك جائع ، والولد طريدُ المدارس ضائع ؛ وتِجارتُك مُحْتَلَّة ، وأمانتُك مُعْتَلَّة ؛ وجارك الضعيفُ يَضِجُ من حَيْفِكَ ، وخصيمُك الأَعْزَلُ يشكو سَطوَةَ سَيْفِكَ ؛ فإن لم يكن شيءٌ من ذلك أو مما إليه فَسِرْ على آسِمِ الله ، وَحِجَّ بَيْتَ الله ، وارْجِعْ بِرِضْوَانِ من الله .

(١) المكث في داره .

(٢) الفجَّاج : الطرق الواسعة بين الجبال .

(٣) المراد بالدرهم النحاس : أنه شؤم على كل من آغْثَبَه . والدِّينار النحاس :

الذي لا قيمة له لانه حرام ، والحرام لا يدوم .

خَطِيبُ الْمَسَاجِدِ

يَا مُرْشِدَ الْعَابِدِ ، وَرَادَّ الْهَوَى الشَّارِدِ : أَعْلَمْتَ أَيْ مَقَامٍ أَقِمْتَ ،
وَلَايَ بِلَاءٍ قُدِّمْتَ ؟ إِنَّمَا نُدِبْتَ لِلوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ ، وَتَعْلِيمِ الْعِلْيَةِ
وَالسَّوَادِ ، أَدَبَ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ^(١) ، وَخَلَقْتَ الْخُلَفَاءَ عَلَى تِلْكَ
الْأَعْوَادِ^(٢) ؛ الْآذَانَ لَكَ مُرْهَفَةً ، وَالْأَذْهَانَ إِلَيْكَ مُتَشَوِّقَةً ، فَمَازَا
عِنْدَكَ لِلْآتِقِيَاءِ ، مِنَ الْاَغْنِيَاءِ ؛ وَلِكُلِّ مُؤَلٍّ ، فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ ؛ مِنْ
إِشَارَةٍ إِلَى الذَّهَبِ الْمَدْخَرِ ، وَالْقَرِيبِ الضَّجِرِ ، وَالْوَارِثِ الْمُنْتَظَرِ ؛
وَالِى الْخَيْرِ وَجَمْعِيَّاتِهِ ، وَالْبَرِّ وَقَضِيَّاتِهِ ؟ وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لِلتَّاجِرِ ، مِنَ
الْوَعْظِ الرَّاجِرِ ، تَحْضُنُهُ فِيهِ عَلَى الْاِمَانَةِ ، وَتُحَذِّرُهُ عَوَاقِبَ الْخِيَانَةِ ،
وَتُوصِيهِ بِسُمْعِيَّتِهِ ضَنْأً وَصِيَانَةً ؟ أَوْ مَا الَّذِي بَذَلْتَ لِلْعَامِلِ وَالصَّانِعِ ،
مِنْ لَفْظٍ رَائِعٍ وَوَعْظٍ جَامِعٍ ، فِي السُّلُوكِ الْحَسَنِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ ،
وَإِتْقَانِ الْعَمَلِ وَالْحِضِّ عَلَيْهِ ؟ وَهَلْ ذَكَرْتَ لِلْعَامَّةِ أَنْ ضَرْبَ النُّسُوءِ ،
ضَرْبٌ مِنَ الْقَسُوءِ ؟ وَأَنَّ الْبَغْيَ بِالطَّلَاقِ ، يَمَقُّتُهُ الدِّينُ وَالْاِخْلَاقُ ؟
وَأَنَّ الطِّفْلَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَهْذَبَ ، لَا أَنْ يُضْرَبَ وَيُعَذَّبَ ، وَأَنْ

(١) الْمَعَادِ : الْآخِرَةُ .

(٢) الْأَعْوَادِ : الْاِخْتِصَابِ . وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْمَنَابِرُ .

يُكْسَبَ عليه، لا أن يَكْسِبَ هو على أبيه؟^(١) وأن التَّيسَ لو عقل
ما آتَّخَذَ نَعَجَتَيْنِ، فكيف يتزوّجُ الفقيرُ العاقلُ اثنتين!؟ أم أنت كما
زعموا بَيْعَاءَ لم تحفظ غيرَ صوت، تردّده إلى الموت، كلماتٌ محفوظة،
في كلّ مكتوبةٍ ملفوظة، سيفٌ من خشب، وخطوبٌ في صورة خطب؟.

(١) المراد بهذه الجملة : أن الآباء عليهم أن يعملوا حتى يمهّدوا لابنائهم سبيل
العيش والحياة، لا أن ينتظروا السعي من أبنائهم وهم أطفال .

الطَّلَاقُ

أزمةٌ تمنعُ أزِمَاتٍ، ومِلَّةٌ تدفعُ مُلَمَّاتٍ؛ دواءُ ساءِ استعماله فِصَارٌ هو الداءُ، ودرْعٌ للتوقُّ عادتُ آلةٌ اعتداهُ؛ نَظْمٌ على غيرِ أصولِهِ مُتَبِعٌ، عَمِثَ بهِ الجَهْلُ حتى انقطعَ، وضاعت على الشارعِ حِكْمَةُ ما شرَّعَ؛ حلالٌ عليه بَشَاعَةُ الحرامِ، وحقُّ يشره^(١) إليه اللثامُ، ويكرهُ عليه الكرامُ؛ منعَ الله بهِ الظلمَ، رَأْفَةً بكم ورحمةً؛ فما بالكم قَلَبْتُمُ الحُكْمَ، وعكستُمُ الحِكْمَةَ؛ تَخْتَلِقُونَ الرِّيبَ، وتُطَلِّقُونَ على غضبٍ، وتُسَرِّحُونَ بلا سببٍ؟

أيُّهَا النَّاسُ: إن كان الكتابُ تَسْمَحَ^(٢)، فإن الحديثَ قد لَمَحَ^(٣)؛ هَبُوا أن الشارعَ أطلقَ الطَّلَاقَ، اتسكلاً على الدين والأخلاق؛ أليس الموقِفُ موقِفَ حَذَرٍ، والمسألةُ فيها نَظَرٌ؟ أمرٌ تَسْبِغَاتُهُ على ضمائركم، وسوءُ استعمالِهِ على سرائركم، وفضيحةٌ بَعْضُكُمْ بهِ واقعةٌ على سائرِكُمْ^(٤)؛ أولئك أُمَمُ النَّصْرَانِيَةِ أصحابُ الحضارةِ الحاضرةِ، حرَّموا الطَّلَاقَ دينُهُم، ثم حلَّلتَهُ قوانينُهُم، ولكن في دائرةِ الحقِّ ووُجُوهِ الرفقِ وبإشرافِ قضاةٍ يَحْمُونَ نَظْمَ الزَّوْجِ من عَمِثِ الخَاصَةِ، وجهالةِ العامَّةِ.

(١) شِيرُهُ إِلَى الطَّعَامِ وَعَلَيْهِ. اشْتَدَّ حِرْصُهُ عَلَيْهِ. (٢) تَسْمَحُ: تَسَاهُلُ.

(٣) يُشِيرُ إِلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «إِنْ أَبْغَضَ الْحَلَالُ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقَ».

(٤) إِذَا انْتَشَرَتْ عَادَةُ الطَّلَاقِ فِي أُمَّةٍ فَلَيْسَتْ الْفُضْيُحَةُ وَاقِعَةً عَلَى رُؤُوسِ الْمُطْلَقِينَ

وَحَدَثِهِمْ، وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ مَأْخُودَةٌ بِهَا جَمِيعاً، وَالسَّمْعَةُ السَّيِّئَةُ لَا تَعْرِفُ مُذْنِباً مِنْ بَرٍّ.

الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ

سَيِّدُ الْمَاءِ ، وَمِلِكُ الدَّامَاءِ ^(١) ، مَهْدُ الْعِلْيَةِ الْقَدَمَاءِ ؛ دَرَجَتِ الْحِكْمَةَ
 مِنْ لُجَجِهِ ^(٢) ، وَخَرَجَتِ الْعَبْقَرِيَّةُ مِنْ ثَبَجِهِ ^(٣) ، وَنَشَأَتْ بَنَاتُ الشَّعْرِ
 فِي جُزْرِهِ وَخُلُجِهِ ؛ بَدَتِ الْحَقِيقَةُ لِلْوُجُودِ مِنْ يَبَسِهِ وَمَائِهِ ، وَجَرَّبَ
 نَاهِضُ الْخَيَالِ ^(٤) جَنَاحِيهِ بَيْنَ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ؛ الْعُلُومُ نَزَلَتْ مُهَوِّدَهَا مِنْ
 ثَرَاهِ ، وَالْفَنُونُ رَيَّيْتُ فِي حِجَالِ رَبَاهِ ^(٥) ، وَالْفَلَسَفَةُ تَرَعَّرَعَتْ فِي ظِلِّهِ
 وَذَرَاهِ ^(٦) ؛ « بَنْتَاءُورُ » وَلِدَ عَلَى عِبْرِهِ ^(٧) ، وَ« هُومِيرُ » مَهَّدَ بَيْنَ سَخَرِهِ
 وَتَحْرِهِ ^(٨) ، وَنَحَتَ الْأَلْيَازَةُ ^(٩) مِنْ صَخْرِهِ ، وَ« هِيرُودُوتُ » ^(١٠) دَوَّنَ
 مُتُونَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَ« الْإِسْكَندَرُ » أَتَمَّهِ إِلَيْهِ بِفَتْحِهِ وَنَصْرِهِ .

-
- (١) الدَّامَاءُ : الْبَحْرُ ، وَالْمَرَادُ بِهِ هُنَا : الْمَيَاهُ .
 (٢) اللَّجَجُ - جَمْعُ لَجَةٍ . وَهِيَ مَعْظَمُ الْمَاءِ .
 (٣) الثَّبَجُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : وَسَطُهُ وَمَعْظَمُهُ .
 (٤) النَّاهِضُ : فَرَخُ الطَّائِرِ إِذَا نَشَرَ جَنَاحِيهِ وَتَهَيَّأَ لِلطَّيْرَانِ .
 (٥) رَيَّيْتُ الْفَنُونُ : أَيْ نَشَأَتْ وَنَمَتْ . وَالْحِجَالُ : الْخُدُودُ . الرَّبِّيُّ - جَمْعُ رَبْوَةٍ :
 وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ .
 (٦) الذَّرَا : الْمَلَجَا .
 (٧) بَنْتَاءُورُ . شَاعِرُ مِصْرَ الْقَدِيمِ . وَعَبْرُ الْبَحْرِ : شَاطِئُهُ .
 (٨) هُومِيرُ . أَقْدَمُ شُعْرَاءِ الْيُونَانِ . وَالسَّحَرُ وَالنَّحْرُ . هُمَا الرُّتَّةُ ، وَمَوْضِعُ الْقَلَادَةِ
 عَلَى الصَّدْرِ .
 (٩) الْأَلْيَازَةُ : دِيَوَانُ مَنْ شَعَرَ هُومِيرُ ، جَمَعَ فِيهِ مَفَاخِرَ الْإِبْطَالِ الْقَدَمَاءِ .
 (١٠) هِيرُودُوتُ هُوَ الْمُؤَرِّخُ الْمِصْرِيُّ الْمَشْهُورُ .

الموسيقى دبَّتْ في أحناء^(١) هياكله ، وشبَّتْ في أفياء خمائله^(٢) ؛ ثم لم يزل بها ترسلُ^(٣) الرهبان ، وترتلُ الأحبار والكهَّان ؛ حتى جاوزت الحناجرَ إلى المعازف ، فنزلت اليراعَ المطربَ^(٤) والنحاسَ الهاتفَ^(٥) ؛ لم تخلُ سُكَّنة^(٦) من بوق ، أو طبلٍ مدقوق ؛ ولم يخلُ كوخٌ من يراعٍ مثقوب ، ولا قصرٌ من وترٍ مَضْرُوب .

وعلى أديم الأبيض المتوسط مشى المثالُ الأوَّلُ^(٧) ، وبججارته وقف فتخيلُ ؛ فلانَ لبنانه الحجر ، ودانَ لمنجاته^(٨) الصخر ؛ حتى زينَ الزَّوْنَ^(٩) بالبديع والغريب ، ونثرَ الدُّمَى على المحاريب^(١٠) وجاء في الفنُّ بالأعاجيب ؛ صنعَ أبا الهول ، فجاء بالهول والزَّول^(١١) ؛ كان ذلك حينَ

(١) الأحناء : الجوانب .

(٢) الأفياء : الظلال . والخمائل : جمع خميعة ، وهي مكان يلتف فيه النبات :

(٣) الترسل : الترفق .

(٤) اليراع : القصب الذي يزرع به الراعي . والمطرب : الذي يرجع الصوت ويحسنه

(٥) هتاف النحاس : ترجيع الصوت في أبواقه .

(٦) السكَّنة : معسكر الجند .

(٧) أديم البحر : صفحته . والمثال - بالتشديد - صانع التماثيل ، ولعل المؤلف

أول من نبه إلى استعمال هذا اللفظ الدفين .

(٨) المنجات : آلة النحت .

(٩) الزون : مجمع الأصنام .

(١٠) الدُّمَى : جمع دمية وهي الصورة المزينة أو الصنم المنقوش . والمحراب :

صدر البيت وأكرم مواضعه ، والجمع محاريب .

(١١) الزول : العجب .

سائر المعمور مجاهل ، والناسُ جهال ؛ عالمٌ غافل ، يهيمُ في أغفال ^(١) .
فيا ناشئَ الكِنانة :

إذا وقفتَ على لجة (الرمَل) ، أو نقلتَ القدمَ على رملة (المكس) ؛
في أصيلٍ لدتْ حواشيه ، وحلّى جلبابه بالذهب واشيه ، وفضاءٍ
أصفرَ من نعى الشمس ضاحيه ^(٢) ، وقربتَ لها الأكفان من
زعفرانٍ نواحيه ^(٣) ، فتبصّر ! هل ترى غيرَ ساحلٍ طيب البقعة ،
وأديمٍ جيدِ الرقعة ؟ وهل تحسُّ غيرَ بحر ضاحك الماء ، متهلّل
السماء ، حلوٍ بشاشة الفضاء ؛ يصحبُ الصّحو ، ويسحبُ الزهو ^(٤) ،
ويلهو وما عرفَ اللّهُو ^(٥) ، وخريره تسبيحٌ وما هو بلغو ^(٦) ؟
لآبائك عنده - منذ ما جت أمواجه ، ولجت لجأجه ^(٧) ، وهدرَ

(١) الأغفال : جمع غفل . والارض الغفل : التي لم يُنصب عليها علم ولم تقم
عليها عمارة .

(٢) ضاحية . ظاهرة وبادية . ونعى الشمس : مجاز يراد به غروبها . واصفرار
الفضاء لنعى الشمس استعارة شبت فيها الشمس بمت ، وشبه الفضاء بمن أصيب فيه ،
فانتابه من صفرة الروع ما يفتاب التاكل المرزوء .

(٣) الأكفان من زعفران : كناية عن صفرتها ، ولا يزال المؤلف مستمراً في
مجازة الذى ابتدأه في الجملة السابقة . (٤) الزهو : العجب والتخيل .

(٥) لهُو البحر : تلاعبه بما على صفحته من السفن .

(٦) اللغو من الحديث : الباطل . والمراد بتسبيح الخريز : ما يلقى في النفس من
أثر اليقين في صوته العجيب .

(٧) اللجاج : جمع لجة وهى معظم الماء .

عَجَّاجُهُ (١) ، وَأُنْشِئَ لِلرَّيَاحِ شِرَاعُهُ وَسَاجُهُ (٢) - جَوَارُ الْأَكْرَمِينَ ، وَصَحْبَةُ الْمُحْسِنِينَ ، وَكَنَفُ السَّمَاحِ الْخَيْرِينَ : شَمْسٌ مُتَوَقِّدَةٌ ، وَطَبِيعَةٌ مُتَوَدِّدَةٌ ، وَلَجَّةٌ غَيْرُ مُتَمَرِّدَةٍ ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَحَارِ ذَمِيمُ الْجَوَارِ ، لَثِيمُ النَّجَارِ (٣) ؛ ضَبَابٌ مُخَيِّمٌ ، وَسَحَابٌ مُدَيِّمٌ (٤) ؛ أَعَاصِيرُ مُرْسَلَةٍ ، وَصَوَائِقُ مُنْزَلَةٍ ؛ زَمْزَمٌ مُضْطَرِبُ الْفُصُولِ ، وَطَبِيعَةٌ تَخْتَلِفُ وَتَحُولُ ، كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ (٥) .

تِلْكَ اللَّجَّةُ - أَيُّهَا النَّاشِئُ - هِيَ مِنْ أَوْطَانِكَ عُنْوَانُ الْكِتَابِ ، وَمِصْرَاعُ الْبَابِ ، وَوَجْهُ الْخَيْلَةِ ، وَظَاهِرُ الْمَدِينَةِ ، وَعَوْرَةُ الْحَصْنِ ؛ وَإِنَّ قَوْمًا لَهُمْ عَلَى الْبَحْرِ مُلْكٌ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهِ قُلُوكٌ : لَقَوْمٌ دُولُهُمْ وَاهِيَةُ السَّلَاطَةِ ، وَسُلْطَانُهُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى إِلَى هَلَاكِهَا !

وَيَأْيُهَا الْأَبْيَضُ الْأَغْرُ سَلَامٌ ، وَإِنْ أَنْزَلْتَنَا عَنْ صَهَوَتِكَ الْأَيَّامِ ، وَأَبْدَلْتَنَا مِنْ سُلْطَانِكَ الْخَافِقِ الْأَعْلَامِ ، بِمَالِكَ مِنْ كَلَامٍ ، وَدَوَّلٍ مِنْ

(١) الْعَجَّاجُ مِنَ الْمَاءِ : مَا سَمِعَ لَهُ عَجْجٌ .

(٢) السَّاجُ : شَجَرٌ عَظِيمٌ يَنْبُتُ فِي الْهِنْدِ ، وَخَشَبُهُ رَزِينٌ أَسْوَدٌ لَا تَكْدَادُ الْأَرْضُ تَبْلِيَهُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : مَا يَصْنَعُ مِنْهُ مِنْ سَفِينٍ .

(٣) النَّجَّارُ : الْأَصْلُ .

(٤) سَحَابٌ مُدَيِّمٌ : أَيُّ مَطَرٍ .

(٥) تَلَوَّنَ : أَصْلُهَا تَلَوَّنَ ، ثُمَّ حُذِفَتِ النَّاءُ لِلتَّخْفِيفِ - وَالْغُولُ : مَنْ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الْجَمِّ وَالسَّحَرَةِ .

أمانى وأحلام ! ويا عرش الأبوة ثناء ، وإن ثلك الأبناء ، ثم لم
يُحسِنوا البناء ؛ أين دُوِّلَ كانت مطالع أنوارك ، ومعاصم سوارك ،
وما الذى نأى بجوارىها ^(١) عن جوارك ، وهوى بسوارىها ^(٢) فى
أغوارك ؟ أين الفراعنة وما جدفوا من بُروجٍ مشيدة ^(٣) ، والبطالسة
وما مدوا من شُرْعٍ كالصروح الممردة ^(٤) ؟ وأين الشونات الأيوية ^(٥) ،
والبوارج العلوية ^(٦) ؟ هيهات ! أزرى الدهر بالإسكندرية ، فحجبَ
ذلك المنار ^(٧) ونصبَ هذا الفنار ، وأين الليل والنهار ، وأين
الظلمات من الأنوار ؟ ذلك كان أضوا هالة ^(٨) ، وأسطع على التمكن
فى الأرض دَلالة ، وأضفى على مناكب البر والبحر جلاله ؛ يهتدى به
الداخل والخارج ، وبستان من الداب فى حماه والدارج ، وتنيف ^(٩)

(١) الجوارى : السفن .

(٢) السوارى : عمُدٌ ينصب عليها الشراع .

(٣) البروج المشيدة هنا : يراد بها السفن الضخمة . والتجديف : تسيير
السفن بالمجداف .

(٤) الشرع : القلوع . وتمريد البناء : تمليسه وتسويته .

(٥) الشونات : هى سفن الحرب ، وقد كان لبنى أيوب منها أسطول عظيم .

(٦) التى أنشأها محمد على باشا جد الاسرة المالكة .

(٧) المنار : الذى أقامه البطالسة فى الإسكندرية فكان سراجها الوهاج .

(٨) هالة القمر : دارته ، والإشارة هنا للبنار .

(٩) تُليف تُشرف .

عليه البروجُ وتطيفُ به البوارج ؛ وهذا ^(١) سراجُ يَتُّ ، وذبالة
زيت ، وشعاعُ كنفَسِ المحتَضِرِ حَيَّ مَيِّت !

^(٢) مُلْكنا الواسِعُ من ورائه بابٌ ولا بَوَّاب ، وسُدَّةٌ ولا حِجَاب ؛
غابٌ ولا ناب ^(٣) ووَكْرٌ ولا عقاب ! تعاقبتُ عليه حُكوماتُ أَلقت
السَّلاح ، وألغتُ الإصلاح ؛ تقولُ فتَجِدُّ وتعملُ فتَهْزِل ، ولا تُحْسِنُ
من سياسةِ الملكِ غيرَ أن تَوَلَّى وتعزل ، وتَجِي القطنَ ولا تَفْكَرُ في
المغزل ! تخايلُ بالبحرية والوزير ، وتَأْتِي قبلَ المساءِ بالوزير ١١ .

(١) السراج : القوم الذين ينفخون في يوم السبت .

(٢) السراج : القوم الذين ينفخون في يوم السبت .

(٣) السراج : القوم الذين ينفخون في يوم السبت .

(١) الإشارة للفنار الموجود الآن .

(٢) السراج : القوم الذين ينفخون في يوم السبت .

صفة الظبي

عروسُ البِيد ، الفاتن كالغيد ، بالمقلة والجيد ، الفروقة الرُعْدِيد^(١)
وصفته فقلت : عَيْنَانِ سَوَادُهُمَا دَاج ، وَيِيَاضُهُمَا عَاج ، وَإِنْسَانُهُمَا حَائِر
سَاج ، فِي رَأْسِ كَأَنَّهُ قَدَمُ الْكَعَاب ، أَوْ كَأَنَّهُ خَزْفَى مِنْ الْآكَوَاب ،
رُكْبٌ فِي عُنُقِ كَابِرِيقِ الشَّرَاب ، وَلَهُ رَوْقَان ، كَأَنَّهُمَا نَضْلَانِ صَدِيقَان ،
وَكَانَ إِبْرَتَيْهِمَا مَرُود^(٢) آتَتْشِرَ عَلَيْهِ الْأَثْمَد^(٣) ، وَكَانَ قَوَائِمُهُ السَّمَر
الْخِفَاف ، وَكَانَ زَجَاجِ أَرْمَاحِهَا الْأَظْلَاف . كُلُّ ذَلِكَ فِي إِهَابِ أَغْبَرِ اللَّوْنِ
كَدِر ، كَأَنَّهُ الثَّوْبُ السَّوَى الْمُنْقَدِر ، لَيْسَ بِفَضْفَاضٍ وَلَا بِالْمُنْحَسِر ؛ وَإِذَا
عَدَا فَسَنَّهُمْ ، وَإِذَا أَخَذَهُ الْمَدَى فَوَّهَهُمْ ؛ وَثَبَاتٌ تَنْتَظِمُ الرِّبْوَةَ وَالْحَفْرَةَ ،
وَتُثْبِتُ وَجُودَ الطَّفْرَةِ ، وَإِذَا قَامَ عَلَى ظَلْفَيْهِ ، وَأَرْهَفَ لِلرِّيَّاحِ حَرْتِيهِ^(٤) ،
وَشَرَعَ فِي السَّمَاءِ رَوْقِيهِ ، خَلَّتْهُ دُمِيَّةٌ مَحْرَاب ، أَوْ شُجَيْرَةٌ عَلَيْهَا تُرَاب .

(١) الفروقة الرعديد : الشديد الفرع الجبان .

(٢) المرود : الميل الذي يكتحل به .

(٣) مسحوق الكحل .

(٤) أى أذنيه .

صفة الأسد

طاغية الصحراء ، وجبار العراء ، وأجراً من وطئ الغبراء ؛ عرشه غابته ، وحجابه مهابة ، والوحدة مجلسه وصحابته ؛ ابن الصحراء البكر تحت أجلاده من صخرها ، وآستوقدت بأسه من حرّها ، وطبعته على انقباضها وكبرها ؛ وكان^(١) الصّور حنجرتّه ، وكان نفخة الصور زنجرتّه ؛ إذا سمعت خفتت^(٢) العقائر^(٣) ، ولاذت الهوامّ بالحفائر ، وطار الواقع ووقع الطائر . وصفتّه فقلت : هامة من أضخم القمم^(٤) ، جلست على المنكب العمم^(٥) ، ولبست تاج الشهرة في الأمم ؛ وراء الهامة غفرة^(٦) كأنها اللامة^(٧) ، هي اللبدة وهي عمامة أسامة^(٨) ؛ دارت على وجه كوجه الموت بادی الشرّة ، منقبض الأسرة ؛ ذى جبهة مغبرة ؛ كجبهة القتال مكفهرة ؛ وكأنها صفحة السيف ؛ تلقى الختف دون الخيف ؛

(١) الصور : القرن الذى ينفخ فيه يوم البعث .

(٢) خفتت : سكنت ،

(٣) العقائر : الأصوات .

(٤) القمم - واحدها قمة : وهى أعلى الرأس .

(٥) العمم : التام الهيئة .

(٦) غفرة : اللبدة .

(٧) اللامة : الدرع .

(٨) أسامة : علم جنس على الأسد .

في الجهة عينان كاللهب ؛ في حجابين^(١) كالخطب ؛ بينهما أنف غليظ
القصبة ، منتشر الأرنبة ؛ كأنه الأفعوان أقرش الحجر ؛ أو اضطجع في
هشيم الشجر ؛ حول الأنف كلحة^(٢) كأنها خزانة أسلحة ؛ إذا انطبقت
فعلى كوامن الغيوب ، وإذا انفتحت فعن القضاء بارز النيوب ؛ ومن
عجب الخلق رأس كأنه صخرة ، أو كأنه أرومة يابسة نخرة ؛ ينهض به
ساعد جدل^(٣) ، لا هزيل ولا عبل ؛ كما تنهض أسطوانة الحديد على قلتها
بالكثير الضخم من البناء ؛ وللأسد كف كأنها المدجج^(٤) ، أو كأنها
الحجر المسدمج ؛ إذا مسّت قفار الفرس قطعت نظمه ، وثرت لحمه
وعظمه^(٥) . كل ذلك في إهاب أغبر ، وجلباب أكدر ، كأنما صُنعا
من القفر أو قطعا من الصخر ، أو كأنما كسيالون الصحراء كما تكسى
البوارج لون البحر ، وإذا قام على برثنه^(٦) فتمثال ، وإذا انقضّ فهضب
منهال ؛ وإذا تراءى بالسهل فدعامة ، وإذا طلع من الحزن فعمامة .

(١) حجاب : غطاء .

(٢) كلحة : صفة .

(٣) الجدول : القفاز .

(٤) المدجج : القنفذ .

(٥) عظمه : عظمته .

(٦) البرثن : الخلب .

(٧) الكلب : الكلب .

(٨) الخلب : الخلب .

(١) الحجابين : عظم الحجابين .

(٢) الكلحة : الفم وما حواليه .

(٣) الجدول : الحسن القتيل .

(٤) المدجج : القنفذ .

(٥) هذه الجملة عن (لاروس) الكبير .

(٦) البرثن : الخلب .

الأسد في حديقة الحيوانات

يا جَارَ الجِيزة وأسير الحديقة، سَرَتِ المُمومُ فلم تَمِّ؛ أَرَقَّتْنِي
شَوْوُنٌ وشَجُونٌ، وذَكَرِيَّاتٌ مِمَّا تَرَكَتِ السَّنُونُ، وَأَرَقَّكَ حَزُّ القيدِ،
وَضَغْطُ الحديدِ؛ وَأَثَارَكَ ذَكَرَى الصَّيْدِ، والحنين للبيدِ؛ سَبَّحَانَ المعزِّ
بالحرية المذلَّ بالرَّقِّ؛ مَا أَرَقَّكَ بِالْأَسْحَارِ، وَكَانَ غَطِيْطُكَ أَرَقَّ
الصَّحَارِ^(١)، وَفَرَقَ^(٢) السَّمَارِ^(٣) فِي الْأَكْوَارِ؛ وَمَا بَالُ زَيْرِكَ يَنَامُ عَلَيْهِ
الطَّيْرُ مَلءَ جَفْوَنِهِ، وَلَا يَتَحَرَّكُ لَهُ لَيْلُ الجِيزة مِنْ سُكُونِهِ؛ أَصْبَحَ
أَقْلَّ مِنَ النَّبَاحِ وَأَذَلَّ مِنَ النَّيَّاحِ، وَكَانَ بِالْأَمْسِ يُرْعِدُ الْبَطَاحَ، وَيُسْقِطُ
مِنْ يَدِ الْبَطْلِ السَّلَاحَ؛ وَأَيْنَ أَبَا لِبْدَةٍ طَلَعَتْ كَانَتْ تَعْقِلُ الْفَرَسَ
وَالْفَارِسَ، فَأَصْبَحَتْ يَدْعُو الْعَيُونَ إِلَيْهَا الْحَارِسَ؛ يُطِيفُ بِهَا النَّشَاءُ^(٤)،
وَلَا تُخْفِ الرِّشَاءُ. عَزَاءَ مَلِكِ الْبَيْدِ. ابْنَ الْفَاتِكِ الصَّنِيدِ، وَأَبَا الْخَالَةِ^(٥)
الصَّيْدِ؛ وَإِنْ لَمْ تَزِدْنِي عِلْمًا بِالدَّوْلَةِ كَيْفَ تَزُولُ، وَلَا بِمَا عِنْدَ النَّاسِ
لِلنَّعْمَةِ الْمُنْكَوبَةِ، وَالبَطُولَةِ الْمُقَهْوَرَةِ، وَالأَخْلَاقِ الْمُخْذُولَةِ، وَالْعُرُوشِ

(١) الصحار: واحدها صحراء.

(٢) فرق: بك.

(٣) السمار: الخوف.

(٤) السمار: أى المتسامرين فى الرحال.

(٥) النشاء: الاحداث.

(٦) الخالة: المتخيلون من الخلاء.

(٧) الخطا: خطأ.

المثولة . فقبلك ضاقت « أغمات » على سجينها . وأخنت « أميرجون »^(١) على قطينها^(٢) ، وأضرت (القديسة هيلانة) برهينها^(٣) ، أجواد نزل بهم الدهر ، وأحرار أناخ عليهم الأسر ، وأملاك^(٤) جرى عليهم النهى والامر ؛ وأنت في صحارك أطول في الملك بنياناً ، وأعرض في الأرض سلطاناً ، وأوسع شهرة وأنسه مكاناً ؛ عرشك أبا الأشبال ، على السهل والجبال ، وكل داب^(٥) على الرمال ، رعية لك أو مال ؛ تمثال القوة ، ومثال المروءة ؛ نفس بهيمة ، وأخلاق عظيمة ؛ ألسنت أبا لبدة تحمى العريضة ، وتحسن عشرة القرينة ، وتبنى الذرية المتينة ؛ وتعف عند الشبع ، وتفضل على التبّع ؛ وتذهب مذهب الأقمار ، فتطلع بالليل وتستسر بالنهار ؛ ولك قبل البطش جلجلة^(٦) منذرة ، وبهنسة^(٧) محدرة ؛ وغيرك في السباع ختل^(٨) وختر ، وجاء القرن^(٩)

(١) أميرجون : قصر الخديو اسماعيل في منفاه بالآستانة .

(٢) القطين : الفاطن .

(٣) رهينها : يعنى به نابليون .

(٤) الاملاك : جمع ملك .

(٥) داب : ساع .

(٦) الجلجلة : الزئير .

(٧) البهنسة : التبخر .

(٨) ختل وختر : أى غدر .

(٩) القرن : الخصم .

على خمر^(١) من أجل هذا ومثله في الأخلاق ضربت الأمم بك الأمثال ،
ونحتوا على صورتك النّثال : واستعاروا أسماءك للأبطال وأشباه
الأبطال حتى قيل للإخشيدي^(٢) : أسد القلب ، وقيل للصليبي^(٣) :
قلب الأسد ، شبه بك كل شجاع ولم تُشَبَّه من الشجعان بأحد ؛ عطف
بقلبي على صفارك أبا الأشبال ، أنهم كصغاري ولدوا في الرق وشبوا
على مسّ هوانه ، كلا النشأين مغلوبّ على دياره ، مرزوء بالتشريك
في وجاره^(٤) ، مغامر في صحراء الحياة بغير أظفاره ؛ وألان لك
فؤادي أبا لبدة هذا الذلّ بعد العزّ . وهذا الرسف^(٥) في الضيق بعد
المرح في السّعة ؛ واستأواني قيد الحديد ، بعد تاج البید . وما أسفى
والله على ظفرك المقلوم ، ولا على نابك المخطوم ، فإنني وجدت البغي
ليس يدوم ؛ ولست أنكر عليك شدة لم ينكرها الناس على الحضارة
وهم يرون ظفرها يقطر من دم الجبل^(٦) ، ويرون نابها يقطر من

(١) على خمر : على غفلة .

(٢) الإخشيدي . هو كافور . وقوله « أسد القلب » هو من قول المتنبي :
أسد القلب آدمي الرواء .

(٣) الصليبي : هو ريشار ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد .

(٤) الوجار : جحر السبع ، والمراد به هنا الوطن .

(٥) الرسف : مشى المقيد .

(٦) الجبل : هو جبل الدروز .

دم الريف^(١) ؛ وإنما أسفى أبا الأشبال على تلك الشخصية المتظاهرة ،
وتلك الروحية القاهرة ؛ وعلى حضرة كأنها مجلس الحكم ، ونظرة
كأنها الأمر النافذ ، وعلى صيحة تأتيك بالصيّد مشكولاً ، متهيئاً من
نفسه مأكولاً ؛ أدوات زعامة ، وآلات سيادة ؛ مما يهب الله
لأفراد البشر أحياناً ، ويلقى على آحاد الرجال آناً فآناً ؛ فإذا هم القامة
والسادة ، وإذا الأمم تأتيهم منقادة ؛ وقد زادك الله عليهم رعيةً
سُلبت منها العقول ، فاسترحت من الرأى وصرachte ، والفكر
وشجاعته ، والمبدأ وصلابته ؛ وكُفيت سيوفاً بينا هي لك ، إذا هي
عليك ؛ وأقلاماً مأجورها أسيرك ، وطليقها أنت أسيره ؛ أعلت
أبا الأشبال إلى أى الآجام نُقِلت ، وفي أى الآطام أَعْتِقِلت ؛ أسمعَت
عن أسدٍ نجم^(٢) . فى هذا الأجم ، وضرغامه غاب ، عن هذا
الغاب ، أذلت الحوادث بالأمس عرنيته ، واحتلت الخطوب عريته ،
وعطّلت نكبته الدنيا من زينة ، وغادرتها بعد فرح حزينه ؛ وكان
أكثر من آباءك أسماء ، وأطول من عشيرتك فى العز سماء ،
وأمنع وادياً وأعزّ ماء ؛ منعكم القرار بالصحراء صهيله^(٣) ، وخلف

(١) الريف : هو وطن عبد الكريم وقومه .

(٢) نجم : ظهر . والمراد بالأسد هنا : الحديو إسماعيل .

(٣) صهيله : أى صهيل خيله .

زئيركم عليها صَلِيلُهُ^(١) ؛ وغلبكم على أطرافها فكل ماء بها مأوّه ، وكل
يس غِيلُهُ ؛ وكانت هذه الحرجات^(٢) تحته أجمّة الاغلب الهصور ،
وكانت نظماً من قصور ، لم تر أمثاله العصور ؛ فلا (الجعفرى)^(٣) حكاه ،
ولا (الزهراء)^(٤) أُعْطِيَتْ حُلَاه ، ولا الإيوان ساواه ، فى شرفه وعُلاه .
وكانت هذه الجنات وَشَى دوره ، وحلّى قصوره ، وكانت هذه العيون
محاجر العين من حُوره ، ومعاصم ريمه ويعفوره^(٥) ؛ وكانت هذه
الساحة ، سماء الندى وأرض السباحة ؛ جنات وقصور ، ونعيم وجُور ،
وعَيْنُ حُور ، يطأن المسك والكافور ؛ مرمرٌ راع مسنونه بلقىس^(٦)
الزمان ، فكشفت عن ساقبها بين يَدَى سُلَيْمَان .

(١) صليله : أى صليل سبوقه .

(٢) الحرجات : الخائل .

(٣) الجعفرى : قصر المتوكل .

(٤) الزهراء : قصر الخليفة الاموى بالاندلس .

(٥) يعفور : الطي .

(٦) يشير بلقىس : إلى الإمبراطورة « أوجيني » نزيله هذه القصور بالامس .

الجمال

جَمَعَتِ الطَّبِيعَةُ عِبْقَرِيَّتَهَا فَكَانَتْ الْجَمَالَ ، وَكَانَ أَحْسَنَهُ وَأَشْرَفَهُ
 مَا حَلَّ فِي الْهَيْكَلِ الْآدَمِيِّ ، وَجَاوَرَ الْعَقْلَ الشَّرِيفَ وَالنَّفْسَ اللَّطِيفَةَ
 وَالْحَيَاةَ الشَّاعِرَةَ ؛ فَالْجَمَالُ الْبَشَرِيُّ سَيِّدُ الْجَمَالِ كُلِّهِ ... لَا الْمِثَالُ الْبَارِعُ
 اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْلَعَهُ عَلَى الدَّمِيِّ الْحَسَنِ ، وَلَا لِلنِّيرَاتِ الزُّهْرُ فِي لِيَالِي
 الصَّحَرَاءِ مَا لَهُ مِنْ لَمْحَةٍ وَبَهَاءٍ ، وَلَا لِلْبَدِيعِ الزُّهْرُ وَغَرِيبِهِ فِي شَبَابِ الرِّبْعِ
 مَا لَهُ مِنْ بَشَاشَةٍ وَطِيبٍ . وَلَيْسَ الْجَمَالُ بِلَمْحَةِ الْعَيُونِ ، وَلَا بِرِيقِ
 الثُّغُورِ ، وَلَا هَيْفِ الْقُدُودِ ، وَلَا أَسَالَةِ الْخُدُودِ ، وَلَا لَوْلُؤِ الثَّنَائِيَا وَرَاءَ
 عَقِيقِ الشَّفَاهِ ، وَلَكِنْ شِعَاعُ عُلُومِيٍّ يَبْسُطُهُ الْجَمِيلُ الْبَدِيعُ عَلَى بَعْضِ
 الْهَيَاكِلِ الْبَشَرِيَّةِ ، يَكْسُوهَا رَوْعَةً وَيَجْعَلُهَا سِحْرًا وَفَتْنَةً لِلنَّاسِ .

الأمومة

الأمومة هي رسالة المرأة على هذه الأرض وشأنها الأول في الحياة ، وهي حجر الأساس في الأسرة ، وقواعد المجتمع وأركانه منذ قام إلى يوم ينفض . وفي الأمومة اجتمعت خلال البرّ ونواب الحق وتبعات الواجب ، وصور البطولة فضائل الإيثار ، ومواطن الصبر الجميل . وكأنّ الأمومة في البيت الملوك في الخلية أو الغدراء في البيعة ؛ فيا أيها الفتاة المدّة بصبائها ، المزهوة بحسنها ، المترقبة من ورائها لذة الحب وفيض السعادة : اذكرى أن الجمال حرّ طليق إلا من قيدين كلاهما أجمل منه : الشرف ، والعفاف ؛ إذا انسلّ منهما عثر في خطاه الأولى ، وذوى في إبان النظرة . وسلي ذوات الشعر الأبيض ممن حولك من غواني أمس : هل دولة الحسن إلا كدولة الزهر ، وهل عمر الصبا إلا أصيل أو سحر ، وهل غير الأمومة تاج للمرأة تلبسه من مختلف الشعر ألوانا .

جمال الأمومة لمحّة من جمال الحياة ، وشعاع من عبقريتها ، وهو أحفل أياما ، وأطول مقاما ، وأصدق أحلاما .

حبّ الأمومة أشهر و سنون ، وبنات و بنون ، وأشغال و شئون ،

ويسبق مع الشكل ، ويتقد عند حَشْرَجَةِ الصَّدر ، ولا يَنْطَفئ إلا
بانطفاء القلب .

لَذَةُ الْأُمُومَةِ معنى قُدْسِيٌّ وَسِرٌّ خَفِيٌّ ، وَحَالٌ كَمَنَاعِمِ الْخُلْدِ وَلِذَاتِهِ ،
لَيْسَ مِنَّا إِلَّا مَنْ قَرَأَهُ فِي تِلْكَ الْعَيُونِ الَّتِي رَعَيْنَا فِي الْمُهْودِ صَغَارًا ،
وَسَهَرَتْ عَلَيْنَا فِي فِرَاشِ الْمَرَضِ كِبَارًا .

الكَاتِبُ الْعُمُومِيُّ

تَمَثَّلُ من الجهل العام صنعتهُ القرونُ والأجيالُ ، حَفَّارُهُ عبثُ
الحاكمِ ، وَطِينَتُهُ غفلةُ المحكومِ ، وَهُوَ الأُمِّيَّةُ على قارعةِ الطريقِ ،
لا يجمعه والحضارةُ مكان .

الْحَيَاةُ وَهُمْ وَلَعِبٌ

الحياةُ توهُمُ ، عِشْنَا بالوهمِ الزَّمنَ الرغدِ ، وعِشْنَا بالوهمِ الزمنِ
النكدِ ؛ طَافَ بنا الوهمُ على السعادةِ أحياناً ، ومَرَّ بنا على الشقاءِ آناءً
فأنَا ؛ وبالوهمِ عادَيْنَا بالوهمِ وَالْيَنَّا ، وبالوهمِ مرضنا بالوهمِ تداوَيْنَا ؛
حتى إذا جاءت سكرةُ الموتِ كانَ ذلكَ أولَ العهدِ بالحقيقةِ ؛ والحياةُ
لعبُ ، قضينا الطفولةَ باللعبِ ، وقَطَعْنَا الشَّبابَ مَلاهيَ وملاعبِ ،
ولعبنا في ظلِّ المشيبِ ؛ حتى إذا جاءت سكرةُ الموتِ ؛ كانَ ذلكَ أولَ
العهدِ بالجدِّ .

الْعِلْمُ

شعارُ الأمم ونفارهم ، آتخذَ الناسُ في شَبَابِ الدولِ الأعلام ،
ولا يزالون في ظل هذه الحضارة الكبرى يبلغون في محبة العلم وإجلاله
إلى التقديس ، فهو - حيث يخطر وحيث يخفق - شبحُ الوطن
المنظور ، وماضيهِ المنشور ، وتاجُ الرؤسِ كُلِّها ، وقبلةُ الوجوه
جميعاً ؛ إذا نُشِرَ في السَّلمِ خلع على أيامها الجمال ، وكسا مواكبها
المهابة والجلال ؛ وإذا رُفِعَ في الحرب كان نَظْمُ الصُّفوفِ وألْفَةُ
القلوبِ ومثارُ الحماسِ وداعِ التضحية ، وسحب النسيان على الأحقاد ،
وحسم ما اشتتهه الأعاد . منديلُ طالما رُفِعَ على أيدي الآباء فكفكفوا به
دمع الحزن ، وتلقَّوا فيه دمع الفرح ، ضحكوا وراهِه كثيراً في نصيبين
وقعدوا حوله في عرس ، وبكوا حوله كثيراً في التلِّ الكبير وقاموا
وراهِه في مأتم .

فيا أيُّها العلمُ الأخضر كديباجة السَّلمِ ، أو كظلال الخصب ،
المستعير الهلال غزاة ، المفصلُ بنجوم السعد ، الموسوم بالحضارة
من عهد خوفو ومنا ، المُحَلَّى بالفتح من زمن ابن العاص ، النابه
الأيام والوقائع بين يدي إبراهيم ، لازلت تُرفع لمجد ، ولا زالت
الاجيال تتلقَّاك يميناً ، ولا نُشِرت إلا في حق ؛ ولا طويت إلا على حق .

ويا ابن مصرَ على قَدَم ؛ حيَّ العلم !

السَّجْعُ

السَّجْعُ شَعْرُ الْعَرَبِيَّةِ الثَّانِي، وَقَوَافٍ مُرْتَبِطَةٌ بِهَا
الْفُصْحَى، يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ، وَيُرْسِلُ فِيهَا الْكَاتِبُ الْمُتَفَنُّ
خِيَالَهُ، وَيَسْلُوبُهَا أحياناً عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الْقَدْرِ الْقُدْرَةُ عَلَى صِيَاغَةِ الشَّعْرِ،
وَكُلُّ مَوْضِعٍ لِلشَّعْرِ الرَّصِينِ مُحَلٌّ لِلْسَّجْعِ؛ وَكُلُّ قَرَارٍ لِمَوْسِقَاهُ قَرَارٌ كَذَلِكَ
لِلْسَّجْعِ؛ فَإِنَّمَا يَوْضَعُ السَّجْعُ النَّابِغُ فِيهَا يَصْلُحُ مَوَاضِعَ لِلشَّعْرِ الرَّصِينِ،
مِنْ حِكْمَةٍ تَخْتَرَعُ، أَوْ مَثَلٍ يُضْرَبُ، أَوْ وَصْفٍ يَسَاقُ؛ وَرَبِّمَّا وَشَّيَتْ
بِهِ الطَّوَالُ مِنْ رَسَائِلِ الْأَدَبِ الْخَالِصِ، وَرُصِّعَتْ بِهِ الْقَصَارُ مِنْ فَقَرٍ
الْبَيَانِ الْمُحَضِّ؛ وَقَدْ ظَلَمَ الْعَرَبِيَّةَ رَجَالٌ قَبَّحُوا السَّجْعَ وَعَدَّوْهُ عَيْباً فِيهَا،
وَحَلَطُوا الْجَمِيلَ الْمُتَفَرِّدَ بِالْقَبِيحِ الْمُرْدُودِ مِنْهُ: يَوْضَعُ عَنَوَاناً لِكِتَابٍ، أَوْ
دَلَالَةً عَلَى بَابٍ، أَوْ حَشَوّاً فِي رَسَائِلِ السِّيَاسَةِ، أَوْ ثَرْتَةً فِي الْمَقَالَاتِ
الْعَلِيَّةِ؛ فَيَا نَشْءَ الْعَرَبِيَّةِ: إِنْ لَغْتُمْ لِسْرِيَّةً مَثْرِيَّةً؛ وَلَنْ يَضِيرُهَا عَائِبٌ
يَنْكُرُ حَلَاوَةَ الْفَوَاصِلِ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، وَلَا سَجْعَ الْحَمَامِ فِي الْحَدِيثِ
الشَّرِيفِ، وَلَا كُلُّ مَا تَوَرَّخَ مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

النقد

فَن قديم كريم وتالد من رأس مال الحضارة في علوم الأدب وفنونه توارثه الأواخر عن الأوائل فأخذته حضارتهم فحسنته على عاداتها ، وضخمت كتابه ووسعت أبوابه وهذبت أصوله ووضعت قيوده ، حتى صار من دعائم الصحافة وأضحى ظل التأليف ومعرض العبقریات ومرآة آثارها في مسائل الأدب وشتى مطالبه ؛ والنقد حارس الأدب ومكمل الكتاب والكتب ، وهو آلة إنشاء وعدة بناء . وليس كما يزعمه الزاعمون معول هدم ولا أداة تحطيم .

والنافذ مُستهدف يعرض عقله وبضاعته وخلقه وحكمه على الناس ، وربما أرتد معوله إليه كما يرتد سلاح البغي إلى صاحبه فهدمه على المكان ، والناس يرون وهو لا يرى من سكرة الغرور ، ومن نقد على غضب أسخط الحق ، ومن نقد على حقد أحترق وإن ظن أنه حرق ، ومن نقد على حسد لم يخف بغيه على أحد ، ومن نقد على حب جاني وجمع به التشيع .

الزَّهْرَةُ

صُورَةُ الرُّقَّةِ وَرَمَزُ العَاطِفَةِ وَهَيْكَلُ الخَيْرِ وَالْحُبِّ وَالْجَمَالِ . قَدِيمَا
أُولَعَ بِهَا النَّاسُ وَقَدِيمَا ظَلَمُوهَا ؛ أَمَا هِيَ فَطَالَمَا مَلَأَتْ حَدَائِقَهُمْ بِهَاءٍ
وَحُسْنًا ، وَحُجَرَاتِهِمْ زِينَةً وَطَيِّبًا ؛ وَجَمَلَتْ عُرَى ثِيَابِهِمْ وَحَسَنَتْ
أَعْرَاسَهُمْ وَوَلَّائَهُمْ ؛ فَكَانَتْ مَنْصَّةً لِلْعُرُوسِ وَإِكْلِيلًا ، وَشَارَةً لِلْمَائِدَةِ
وَمَنْدِيلًا ، وَسَفَرَتَ بَيْنَ الْعَشَّاقِ فَحَسَنَتْ رِسَالَةً وَرَسُولًا ... وَأَمَاهُمْ
فَمَا أَشَدَّ مَا جَنَوْا عَلَيْهَا ! فَطَمَوْهَا عَنْ عُصَارَةِ الْعُودِ ، وَفَجَعَوْهَا فِي وَثِيرِ
الْمُهُودِ ، وَأَبْدَلُوهَا مِنْ طُولِ الْفَضَاءِ وَعَرَّضُوهَا بِالْبَوَاطِي الضَّيِيقَةِ ، وَمِنْ
سَمَاءِ الرُّوْضِ وَأَرْضِهِ بِالْجِدْرَانِ الْمَزْهَقَةِ ، وَمِنْ مَاءِ الْعَيُونِ بِمَاءِ الْجِرَارِ ،
وَمِنْ شِعَاعِ الْفَضَاءِ الطَّلُقِ بِشِعَاعِ النَّافِذَةِ وَالْكُوَّةِ ... ظَلَمَ عِبْقَرِيٌّ ،
وَإِحْسَانٌ ، جُزِيَ بَغَيْرِ إِحْسَانٍ .

السَّاقِيَّةُ

أَصَوْتُ السَّوَاقي فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ وَعَلَى فُضَاءِ الرِّيفِ ، أَمْ تَنْغِيْمُ
الْمَلَائِكَةِ فِي الْأَرَاغِيلِ ؟ أَمْ خَوَارِ الثَّوَرِ خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ وَقَدْ أَخَذَهُ
الضَّجْرُ ، وَنَاهُ قَرْنَاهُ بِذُنُوبِ الْبَشَرِ ؟

نَغْمٌ كَالنَّفْعِ فِي الْغَابِ ، طَبِيعَةٌ قَادِرَةٌ سَاحِرَةٌ لَهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ
مَوْسِيقَى حَتَّى فِي اللَّيْفِ وَالْخَشْبِ ، فَيَأْقِينَةُ الْأَجْيَالِ ، مَا هَذِهِ الدُّمُوعُ
الْفَوَاجِرُ الَّتِي لَمْ تُعْرِفْ مِنْ شَتْوٍ وَلَمْ تُرْسَلْهَا مَحَاجِرَ ؟ وَمَا هَذِهِ الضُّلُوعُ
الْهَاتِفَةُ بِالشُّكْوَى ، الصَّارِخَةُ مِنَ الْبَلْوَى ، وَمَا عَرَفَتْ الْهَوَى ، وَلَا بَاتَتْ
لَيْلَةً عَلَى الْجَوَى ؟ حَدَّثِينَا عَنْ الْقُرُونِ الْأُولَى ، قُرُونُ خُوفٍ وَمَنَا ...

الْشَيْخُ الْمُهَنْدِمُ

أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمُهَنْدِمُ الْمَقْدِّدُ : مَا عَرَّكَ بِالسَّنِّ حَتَّى لَبِسْتَ لِلصَّبَا ثِيَابَهُ ،
وَنَازَعْتَ حَفِيدَكَ شَبَابَهُ ، إِنَّمَا مَثَلُكَ فِي هَذَا الْبَرِيقِ الْمَزُورِ ، وَهَذِهِ
النُّضَارَةُ الْمُضْطَّعَةُ ، كَمَثَلِ الضَّرْسِ الْمُخْشَوِّ الْمَكْسُوِّ ، نَزَعَ مِنْهُ الْعَصَبُ ،
وُخْلِغَ عَلَيْهِ الذَّهَبُ .

خَوَاطِر

✓ مَنْ بَغَى بِسِلَاحِ الْحَقِّ بُغْيَ عَلَيْهِ بِسِلَاحِ الْبَاطِلِ

*

✓ قُبِّحَ الدِّينُ نَطَقَ فَقَضَحَ وَسَكَتَ فَقَدَحَ

*

يَسْتَرِيحُ النَّائِمُ مِنْ قَيُودِ الْحَيَاةِ كَمَا يَتَرَوِّحُ السَّجِينُ سَاعَةً فِي فِئَاءِ السَّجْنِ

*

مَانِبَةٌ عَلَى الْفَضْلِ الْكَاذِبِ ، مِثْلُ الثَّنَاءِ الْكَاذِبِ

*

✓ نَخْوَةُ الْكَلْبِ مِنَ الرَّاعِي ، وَمَنْعَةُ الدِّيكِ مِنَ السُّطْحِ

*

إِذَا بَالِغُ النَّاسِ اسْتَعَارُوا لِلْهَرِّ شَوَارِبَ النَّمْرِ

*

قَضَاءُ السَّمَاءِ بِقَضَاءِ الْأَرْضِ اخْتِلَطَ ، وَهَذَا مَعْصُومٌ ، وَهَذَا عَرْضَةٌ

لِلْغَلَطِ

*

✓ الْفَضَائِلُ حَلَائِلُ ، وَالرَّذَائِلُ خَلَائِلُ

*

هَلَكَتْ أُمَّةٌ تَحِيًّا بِفَرْدٍ وَتَمُوتُ بِفَرْدٍ

*

فِي الْغَمْرِ تَسْتَوِي الْأَعْمَاقُ

*

فِرَاشُ الْمُتَعَبِ وَطَيٌّ ، وَطَعَامُ الْجَائِعِ هِنِيٌّ

*

تغطي الشهرة على العيوب كالشمس غطى نورها على نارها

*

للرياسات أذئاب ، فلا يكن ذنبك كذنب الطاووس فيذهب
ببهائك كله لنفسه ، ولا كذنب الفأر فينقطع عنك عند العسل ،
ولا كذنب النجم فيصبغك بنحسه

*

من يحز عفاً ، ومن يش كفاً ، ومن جاع أسفاً

*

الأمم بنيان الهيم

*

الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات

*

المدرسة تعلم ولا تحلم ، والحياة تحلم وتعلم

*

المتحيز لا يميز

*

عاش العالم فمات ، ونفق الجاهل كالسائمات

*

الخاصة أذوق لحكمة البيان ، والعامة أذوق لحكمة الألحان

*

المال عرضة للآفات فلا تتعجلوها بالسرف

*

ولد البخيل مرحوم ، وولد المبذر محروم

*

الثقيل جبَل إذا تَلَطَّفَ سقط

*

يَدُ القاتل حمراء تَمُّ عليه في الدنيا وتشهد عليه في الآخرة

*

أسِ ثم أنصَحْ

*

✓ ربما تقتضيك الشجاعة أن تَجُنَّ ساعة

*

✓ الخير فيه ثوابه وإن أبطأ ، والشرُّ فيه عقابه وقلبا أخطأ

*

✓ الخير تنفحك جوازيه ، والشرُّ تلفحك نوازيه

*

عليك أن تلبس الناس على أخلاقها ، وليس عليك ترقيع أخلاقها

*

العتاب رفاء الودِّ

*

لا سلطان على الذُّوق فيما يُحِبُّ ويكره

*

ذَنبُ الطاووس رفع له رأساً ، وذَنبُ النجم جرَّ له نحساً

*

الغنيُّ مع الفقير في كَبَدٍ ، إذا منعه حَسَدٌ وإذا أعطاه حَقْدٌ

*

النصح ثقيل فلا تجعله جدلاً ، ولا ترسله جَبَلاً

*

✓ الروح اللطيفة تستشفُّ ، والنفسُ الشريفة تستشرفُ ، والضمير

النقي مرآة ، لو التمس فيها المرءُ وجه الغيب لرآه

*

رُبَّ قَارِضٍ لِلْأَعْرَاضِ ، وَعَرْضُهُ بَيْنَ شَقِّ الْمَقْرَاضِ

*

الْحِكْمَةُ قَوَامُ الْخَيْرِ الْخَاصِّ وَدَعَامَةُ الْخَيْرِ الْعَامِّ

*

الْبَصَائِرُ كَالْأَبْصَارِ : إِذَا تَوَجَّهَتْ فِي وَجْهِ شَيْءٍ لَمْ تَتَحَوَّلْ عَنْهُ
رَجَعَتْ حَوْلَى

*

أَكْثَرُ الْفَضَائِلِ أَصْطِلَاحٌ ، وَجَوْهَرُهَا كُلُّهَا الصَّلَاحُ

*

الذَّلِيلُ بَغِيرُ قَيْدٍ مُتَقَيِّدٍ ، كَالْكَلْبِ لَوْ لَمْ يُسَدَّ بِحَثٍّ عَنْ سَيِّدٍ

*

تَحْسُنُ الْمَرْأَةُ نِصْفَ عِلْمِهَا ، وَيَقْبُحُ الرَّجُلُ نِصْفَ جَاهِلٍ

*

مَنْ أَثْرَى أَوْ سَادَ ، فَلَا يُعَدُّنَ الْحُسَادَ

*

إِذَا خَدَعَ الطَّبِيبُ الْمَرِيضَ أَعَانَ الدَّوَاءَ ، وَإِذَا خَدَعَ الْمَرِيضَ
الطَّبِيبُ أَعَانَ الدَّاءَ

*

الْعَامَةُ أَذْنَابُ مَنْ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَسَهْمُ

*

يَهْدِمُ الصَّدْرُ الضَّيِّقُ مَا يَبْنِي الْعَقْلُ الْوَاسِعُ

*

الْعَاقِلُ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَلَمْ يَنْسَ الْحَيَاةَ

*

يَسْتَأْذِنُ الْمَوْتَ عَلَى الْعَاقِلِ ، وَيُدْفَعُ الْبَابَ عَلَى الْغَافِلِ

*

✓ قد يداويك من المرض اتقاؤه ، ولا ينجيك من الموت إلا لقاؤه

*
✓ الغلط إذا أدرك تبدد ، وإذا ترك تعدد

*
✓ المسيح بكر الحكمة

*
✓ على كتب السماء تهجى الحكمة الحكاء

*
كل غائب يسلى إلا غائب الشكى

*
قلما طار اسم الشاعر في حياته فوقع بعد مماته

*
إذا كثر الشعراء قلَّ الشعر

*
أكثر الشعراء هتافاً بشعره أقلهم رداية

*
الحقيقة ثقيلة فاستعبروا لحقائق العلم خفة البيان

*
✓ ماراع البيض الرعايب مثل رواعى المشيب

*
تحمل المليحة شكل الجمال كما يحمل البخيل شكل المال

*
الشباب أعراس الجمال ، والمَشيبُ مآتمه

*
✓ عند الكمال يبتدئ الجمال

للجمال حين يزول جلالة الملك المعزول

*

العلماء أشباه إلا من زاد في العلم حرفاً

*

السَّقَى بعد الغرس ، والتربية قبل الدرس

*

اجْتَنِبِ التفریط والإفراط ، تَسْتَغْنِ عن بقراط

*

بُغْضَ الكبر إلى النفس الكبيرة ، وَحُبَّ الصغائر إلى النفس الصغيرة

*

يا أخت العزلة أنت لو طرتَ عن الناس ما وَقَعْتَ إلا عليهم

*

من استقام استدام

*

الكسل فالجُ النفس

*

الوقت مُصَارَعٌ لا يزال بك حتى يصيرك أجلاً دارثاً ، ولا يدعك إلا وأنت جثة

*

في شهوة النفس شقوة الجسد

*

العادة شهوة لازمة قاهرة

*

تهرم القلوب كما تهرم الأبدان ، إلا قلوب الشعراء والشجعان

*

الشعر فكر وأسلوب وخیال لُغوب وروح مؤهوب

*

مَنْ ذَهَبَ يَسْتَقْصِي سِرَّاتِ النُّفُوسِ لَمْ يَرْجِعْ

*

رُبَّ اسْتَحْيَاءَ تَحْتَهُ رِيَاءٌ

*

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بَعْدَ جَهْلٍ وَجَدَهَا ؛ وَمَنْ جَهِلَ نَفْسَهُ بَعْدَ

مَعْرِفَةٍ فَقَدَهَا

*

مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُرْضَى أَبَدًا يَوْشِكُ أَنْ لَا يُرْضَى أَحَدًا

*

مَنْ ذَهَبَ بِنَفْسِهِ فَقَدَهَا ، وَمَنْ ذَهَبَ بِوَلَدِهِ ضَيَعَهُ

*

السُّجُونُ إِذَا امْتَلَأَتْ انْفَجَرَتْ

*

لِلنَّفْسِ عَلَى كُلِّ مَا عَمِلَتْ عِلَلٌ مِنْ هَوَاهَا

*

رَبِّمَا مَنَعَتْكَ الْحَقُوقُ الْكَلَامُ وَأَلْجَمَتْ الْعُهُودُ فَالْكَ بِلِجَامٍ

*

الْبَلْشَفِيَّةُ قَيْصَرِيَّةٌ . لَهَا جَبْرُوتُ الْمَلِكِ وَسَرْفُهُ ، وَلَيْسَ لَهَا جَلَالُهُ وَلَا شَرْفُهُ

*

الْوَقْتُ عَدُوٌّ مُجْتَهِدٌ ، لَا يَدَافِعُهُ إِلَّا مُجْتَهِدٌ

*

الْوَلَدُ ثَقُلَ إِذَا فَسَدَ ، تُكَلُّ إِذَا قُفِدَ

*

لَوْ لَمْ يَرْقُصِ الدِّينَارُ فِي النَّارِ ، مَا رَقَصَ عَلَى الْأَظْفَارِ

*

قَيْدُ الْحَدِيدِ عَسِرٌ ، وَقَيْدُ الْحَرِيرِ لَا يَنْكَسِرُ ، لَعَنَ اللَّهُ الْقَيْدَ كُلَّهُ

*

لا يقع الملق إلا في نفسٍ غريرٍ أو مغرورٍ

*

قادة الثورة مقودون بها ، كالجلاميد تقدّمت السيل تحسبها تقوده

وهي به مندفة

*

الثورة جنونٌ طرافه عقل

*

من اشتغلّ بنفسه أستوحش ، ومن أشتغلّ برأيه ضلّ

*

خطة العاقل في رأسه ، وخطة الجاهل في نفسه

*

عادة السوء شهّد آخره علّقم ، وورّد في أصوله أرقم

*

الحظ طيرٌ يقع غير مستأذن ، ويطير غير مؤذن

*

من أحبّ المال تعب بجمعه ، ومن أحبّه المال تعب بتبديده

*

أبى الله أن يتساوى عباده إلا في النوم والموت

*

الأمية شلل الأمم ، الناس معها مقعدون وإن خيل إليك أنهم

يعدّون

*

الرأي المسير إن قعدت عنه تغيّر

*

العامة تدع صاحبها عند باب التاريخ

*

الحق مَلِكٌ وإن مَلِك ، عزيزٌ وإن أُهين ، دِيَّانٌ وإن دين

*

صبرُ الحازم تجلُّ وصبر العاجز تبلُّ

*

الْقَدَمُ إلى جارى المقدور ، أسرعُ من الماء إلى الحدور

*

الماضى يُسلِّ عليك يوماً

*

أخدع من شئت إلا التاريخ

*

مات الحق في قوم وفيهم رجلٌ حيٌّ

*

أصدقاء السياسة أعداء عند الرياسة

*

حِيلَ العقول تجرى في وجوه المنفعة ، وحِيلَ النفوس في وجوه
المضرة

*

التاجر في حانوته بين يدى الرازق ، فلا يُنازع ولا ينازق

*

من لم يتحرك جمد ، ومن جمد همد

*

محاسنُ وجه الدار الخيلة ، ومحاسن وجه البلد الفنون الجميلة

*

خُلقت المرأة تنبل بالجمال ، فإن فاتها التمس ما ينبل به الرجال

*

عجبتُ من الصدر يسع الحادث الجليل ، ويضيقُ بحديث الثَّقليل

*

الحكمة مصباحٌ يَهْدِيكَ حتى في وَضَح الصَّباح

*

حُبِّتُ إلى الشيوخ أحاديث الشباب : حنين الرجل في علته إلى أيام صحته

*

خدع العقل الأعمى ، ويخدع الهوى العقل

*

رُبَّ حُسْن سَمْتٍ أتى الرجال من الصَّمْت

*

حُبُّ القلوب يزول ، ويبقى حب العقول

*

مجد السياسة عرضة للأحداث ، وقد ينهدم على أهله في الأجداث

*

إذا طال البنيان عن أسسه أنهدم من نفسه

*

سلطانُ الفضيلة أعزُّ من سلطان العشق ، سل عُذرة^(١) عن العفاف كيف

قتلها ، وسل الأديرة عمن دخلها ؟

*

من فَقَدَ الضمير لم يجد مسَّ التحقير

*

ارحم نفسك من الحقد فإنه عَطَب ، نارٌ وأنت الحَطَب

*

(١) بنو عُذرة : قبيلة اشتهر بها الهوى العذرى

كل نار طاهرة مطهرة إلا نار الحقد
 *
 كاد صفح الوالد يسبق ذنب الولد
 *
 لوحطمت السن المرأة ما حطمت مرآتها
 *
 إنما المرء مروته ✓
 *
 لا رعد مع صحو ، ولا كوعيد العاجز لغو
 *
 القمل في لبدة الأسد وهو مطلق : أعز من الأسد وهو وراه الحديد
 *
 الحق المسلح أسد عرينه ، والحق الأعزل أسد زينه
 *
 لا يبحث عن القتل والقتال دائر
 *
 الحق كبير فلا تُصغروه بالصغائر
 *
 من حمل نوائب الحق حمل الأمانة كلها
 *
 العالم في كل زمان بلد ، المال فيه أمير آخر الأبد
 *
 الأعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه
 *
 التواضع المستكلف زهر مصطنع ، لا في العيون نضر ولا في

الأنوف عطر

*
كُلُّ بَنِيَانٍ يُهْدَمُ مِنْ رَأْسِهِ ، وَبَنِيَانُ الْاَوْهَامِ يُهْدَمُ مِنْ أَسْفَلِهِ

*
يُؤْذِي الْعَاقِلُ الْمَفْتُونُ ، كَمَا يُؤْذِي الْمَجْنُونُ

*
الْحِكْمَةُ أَنْ تُحَسِّنَ قَوْلًا وَفِعْلًا

*
زَوَاجُ الْعَشْقِ وَرَدُ سَاعَةٍ ، وَزَوَاجُ الْمَالِ وَرَدُ صِنَاعَةٍ ؛ وَالْبِرْكَةُ
فِي زَوَاجٍ مُوَفَّقٍ يَكُونُ لِعِمَارَةِ الْبَلَدِ ، وَفِي سَبِيلِ الْوَلَدِ

*
ثَلَاثَةٌ مُسَخَّرُونَ لِثَلَاثَةِ آخِرِ الْأَبَدِ : الْفَقِيرُ لِلْغَنِيِّ ، وَالضَّعِيفُ
لِلْقَوِيِّ ، وَالْبَلِيدُ لِلذَّكِيِّ

*
قَلْبًا رَفَعَتْ رَجُلًا نَفْسُهُ فَوَضَعَ ، وَقَلْبًا وَضَعَتْ رَجُلًا نَفْسُهُ فَرَفَعَ

*
مِنْ سَاءِ خُلُقِهِ أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَكْدُ الدُّنْيَا

*
ضَيْقُ الرِّزْقِ مِنْ ضَيْقِ الْخُلُقِ

*
نَسَجَ الْقُلُوبِ مِنْ شَهَوَاتِ

*
دُودُ الْحَرِيرِ أَخْرَقَ ، هَلَكَ تَارِكًا لِلنَّاسِ خَيْرَ مَا لَبَسُوا فَمَا تَرَ كَوَالَهُ مِنْهُ

*
كَفْنًا ؛ وَالنَّحْلُ حَكِيمٌ طَعِمَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ثُمَّ أَطْعَمَ

الشباب مُلاوة كلها حلاوة

*

لا أعلم لك منصفا إلا عملك ، إذا أحسنته جملك وإذا أتقنته كمأك

*

إذا رأيت ساعيا مجتهدا تمطله الأسباب ، وتطاوله الغايات فاعلم
أنَّ حظه قاعد

*

القوى من قوى على نفسه

*

العقول الكبار دُرر كبار ، لا تخلو واحدة من خدش يظهره
الخلق أو يخفيه

*

جلائل الرغائب مخبوءة في كبار الهمم

*

يتقى الناس بعضهم بعضا في الصغائر ، ولا يتقون الله في الكبائر

*

من علم من نفسه الكرم رباً بها عن مواقف اللوم

*

كفى بزوال الألم لذة ، وكفى بقطام اللذة ألما

*

من لم يكن في عنان لذة أو تحت مهماز ألم ، فليس على ميدان الحياة

*

من عاش وعاشر أمل محباً أو ملّ محبوبة

*

الجماعات مطايا أهل المطامع تبلغهم إلى منازل الشهرة

في الثورة لا يُقبلُ الرأي من أهل المشورة على أصالة رأيهم وصدق
نصيحتهم ، ولكن على أسمائهم في الألسنة وموقعهم في القلوب
الناس في الألم والموت سواء ، لم تسلم من الدمع جفون ولم يتمتع على
الصديد مدفون .

الفتيات نائمات فإذا تزوجن انتبهن ، والفتيان سُكَّارَى فإذا تزوجوا صحَّوا
شَبَّحَ الفقر غادرًا على اثنين : زوج المضِيعَة ، وامرأة المقامر
باني نفسه لا يُبالى ما هدم

رُبَّ بَاكِ كضاحك المزن ، دمعٌ ولا حزن
من قَعَدَ به المال لم يَقُمْ به شئ .

ثورة النفوس تقطع الجبال ، وثورة العقول تقلع الجبال
المقعدُ خيرٌ من القاعد ، والكسيح خيرٌ من الكسلان
إذا صدقت النية فكلُّ مذهبٍ جميل ، وكل رأى أصيل

عجزَ المغتابُ أن يكون سَبْعًا ، فرضى لنفسه أن يكون ضَبْعًا

رَأَى الْجَمَاعَاتُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، وَكُلُّهُ مِنَ الْفَرْدِ كَمَوْجِ الْبَحْرِ بَعْضُهُ
مِنْ بَعْضٍ وَكُلُّهُ مِنَ الرِّيحِ

*

مَنْ رَفَعَ شِرَاعَ الْعِلْمِ بَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي أَوَّلِ اللَّجَّةِ

*

الْجَمِيلُ إِلَى الْجَمِيلِ يَمِيلُ ، وَالْحِكْمَةُ تُحِبُّ الْفَنَّ الْجَمِيلَ

*

مَثَلُ الشَّاعِرِ لَمْ يَرْزُقِ الْحِكْمَةَ ؛ كَالْمَغْنَى : صِنَاعَةٌ وَلَا صَوْتٌ

*

الْعَاقِلُ يَكَلِّمُ أَنَاثًا يَبْعُضُ عَقْلَهُ ، وَأَنَاثَا يَبْعُقِلُهُ كُلُّهُ

*

ذَكُرُوا لِلْبُخْلِ مِائَةَ عِلَّةٍ ، لَا أَعْرِفُ مِنْهَا غَيْرَ الْجُبْلَةِ

*

الْأَعْتِرَافُ أَوْجَهُ الشُّفْعَاءِ

*

أَعْتِرَافُ الْخَاطِئَاتِ اسْتِبْسَالٌ ، وَفِرَارٌ مِنَ الْإِسْتِرْسَالِ ، فَانْتَشِلُوهُنَّ
بِعَفْوِكُمْ مِنَ الْهُوَّةِ ، وَأَحْيِطُوا ضَعْفَهُنَّ مِنْ حِلْمِكُمْ بِقُوَّةٍ

*

الْحِكْمَةُ فِي أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ ، وَعَلَى شِفَاهِ الدِّهْمَاءِ ؛ كَالدَّرِّ يَكُونُ فِي
قَاعِ الْبَحُورِ ، وَيَكُونُ فِي نَوَاعِمِ النُّجُورِ ، وَكَشَعَاعِ الشَّمْسِ يَقَعُ
عَلَى الْوَحْلِ كَمَا يَقَعُ عَلَى الزَّهْرِ

*

الْمَوْتُ أَوَّلُ الْمَخَافِ وَأَخْرُهَا

مَنْ نَقَضَ مَوْثِقَهُ ، نَقَضَ عَنْهُ الثِّقَةَ

*

إِذَا ذَهَبَتِ الْأُمَمُ بَقِيَتِ الرَّمَمُ

*

إِذَا زَادَ تَوَاضَعُ الْكِبَرَاءِ كَانَ تَلَطُّفًا فِي الْكِبَرِ

*

لَا يَزَالُ الشَّعْرُ عَاطِلًا حَتَّى تُزَيِّنَهُ الْحِكْمَةُ ، وَلَا تَزَالُ الْحِكْمَةُ شَارِدَةً
حَتَّى يُؤْوِيَهَا بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ

*

الْوَقْفُ مِنْ حَرَصِ النُّفُوسِ وَيُرَادُ بِهِ الْمَالُ لَا الْبَنُونَ

*

بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَوَرِ جَسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الصِّرَاطِ

*

ثَلَاثَةٌ لثَلَاثَةِ الْمُرْصَادِ : الْمَوْتُ لِلْحَيَاةِ ، وَالشَّقَاءُ لِلذِّكَاةِ ، وَالْحَسَدُ
لِلْفُضْلِ

*

خَفِ الْيَأْسَ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ

*

كَبُرَ الصَّغِيرُ قَبِيحٌ كَتَوَاضَعُهُ ، كَلَاهُمَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ

*

حَظُّ النَّفْسِ مِنَ الْحَرَصِ حَظُّ الْمُقَاتِلِ مِنَ السَّلَاحِ ، إِذَا زَادَ عَنْ
حَاجَتِهِ تَجَبَّلَ ، وَنَاءَ بِمَا حَمَلَ ، وَإِذَا قَصُرَ عَنْهَا تَقَهَّقَرَ وَانْخَذَلَ

*

اِثْنَانِ فِي النَّارِ دُنْيَا وَآخَرَى : الْحَاقِدُ وَالْحَاسِدُ

الدين السمع في الرجل السمع ، والجنس الكريم في الرجل
الكريم ، فأحب من ليس من دينك تُحِبُّ دينك إليه ، وأكرم من
ليس من جنسك يَكْرُمُ جنسك عليه

*

آفة النصح أن يكون جدالا ، وأذاه أن يكون جهاراً

*

في الدنيا مزيد من العقل للعاقل ، ومتمادى في الجهل للجاهل

*

اثنان معاديهما في خسر : القوي المغلَّبُ ، والرجل المحجب

*

شرف الكبراء كالورد في إبان غضاضته : إذا نزعت منه ورقة
انحل وانتثر ، وانتقض جميعه على الأثر

*

تَجْمَعُ اللغات على اختلافها الحِكْمَةُ ، كما تجمع شتى المعازف النغمة

*

لا يكن تلطفك مُذالاً ، ولا تحبُّبك ابتذالاً فإن الطفيلين أعذب
الناس كلاماً ، وأكثرهم ابتساماً

*

أساطين البيان أربعة : شاعر سار يئته ، ومصوِّر نطق زيته ،
وموسيقى بكى وتره ، ومثال ضحك حجره

*

من الأمهات تُبنى الأمم

*

الآمية في العقلاء شكائهم ، تتأسى بها البهائم

*

الشباب من الموت خطوة أو ما فوقها ، والمشيب من الموت خطوة
أو ما دونها

*

الطير لا تقرب أفقاً فسد فضاؤه ، والحرية تهرب من بلد
اختل قضاؤه

*

إذا ضغط على قاضى الأرض فى بلد ضغط عليه قاضى السماء

*

شورى من الحجاج وزيد ، خير من الفرد ولو كان عمر

*

خذ من مال الناس ما شئت فإن وارثك راده إليهم

*

ليس العلم لك يسفر ، حتى يكون لك فيه سطر ، وليس الأدب
لك كتاباً ، حتى تزيد فيه باباً

*

الإنسان لولا العقل عجماء ، ولولا القلب صخرة صماء

*

من وضع نفسه قصر عن فضيلة التواضع

*

المرء كلف بما ألف

*

المغرور مَنْ يظنّ الناس لا يستغنون عنه ؛ والمخدوعُ مَنْ يظنّ
أحدًا من الناس لا يستغنى الناس عنه

*

من أخلّ بنفسه في السرّ أخلت به في العلانية

*

إذا رأيت المرأة لا تدعُ صلاتها فلا تثق بها كلّ الثقة ؛ وإذا رأيتها
لا تضعُ مرآتها فلا تهيمها كلّ الأتهام

*

العاقل لا يثق حتى يجرب ، ولا يتهم حتى يتبين

*

ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر

*

الثقة وثاق الأحرار

*

الثقة مراتب ، فلا ترفع لعليا مراتبها إلا الشريك في المِر ، المعين على
الضرّ ، الأمين على السرّ

*

من أحسن الثقة بنفسه ، فليثق بعدها بمن شاء

*

الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل

*

ياعدو الزوج : لو كنت العزب القدسي عيسى ابن مريم ما استطعت

أن تقطع له نظماً ، أو تعطّل له سنة

ليس للدنيا بيعل مَنْ خطبها بلا عمل ، وصحبها بلا أمل

*
الحقُّ نبيٌّ قليلُ السَّبع ، والباطلُ مشعوذٌ كثيرُ الشَّيع

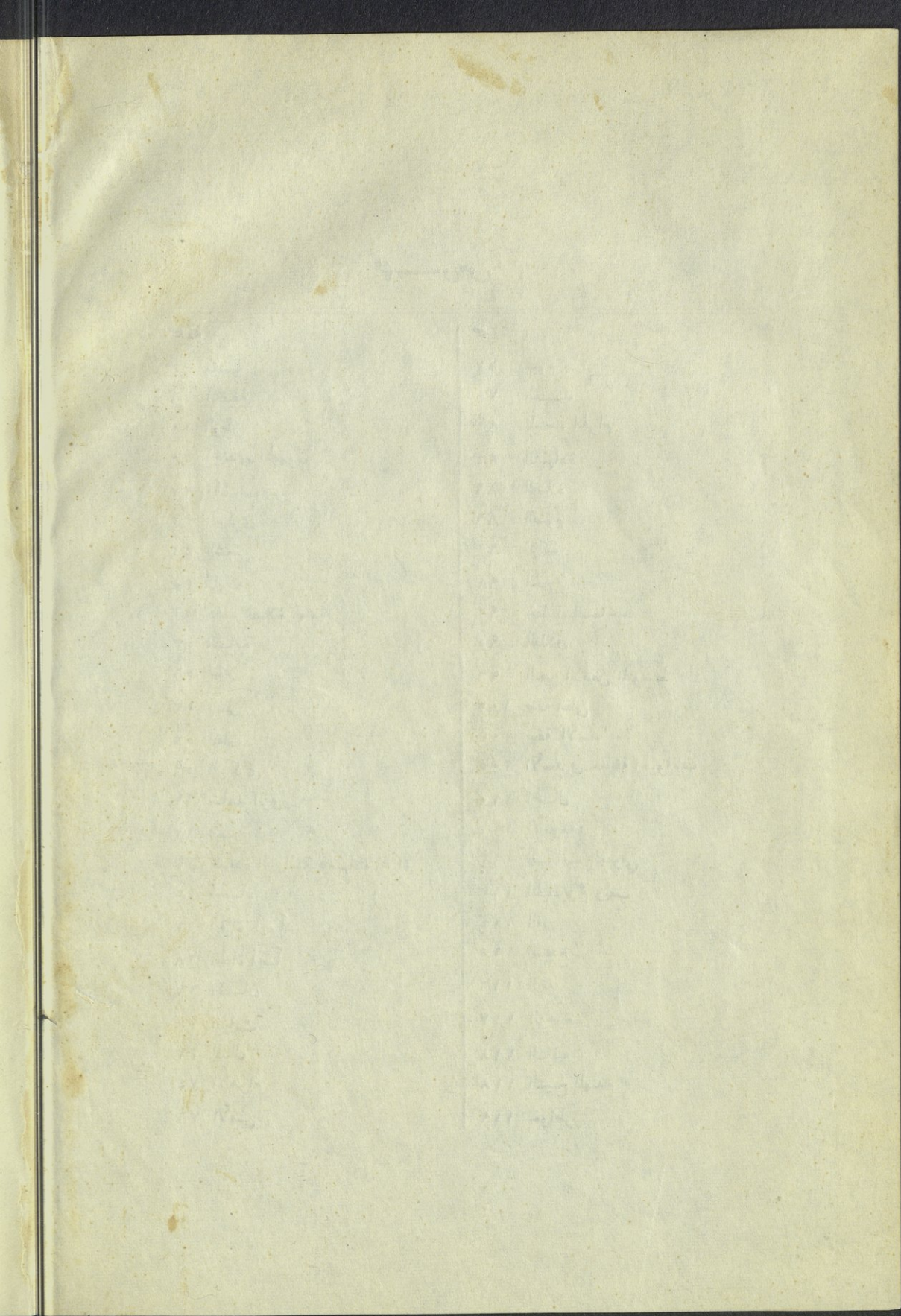
*
جئني بالنَّمرِ العاقل ، أجتك بالمستبدِّ العادل

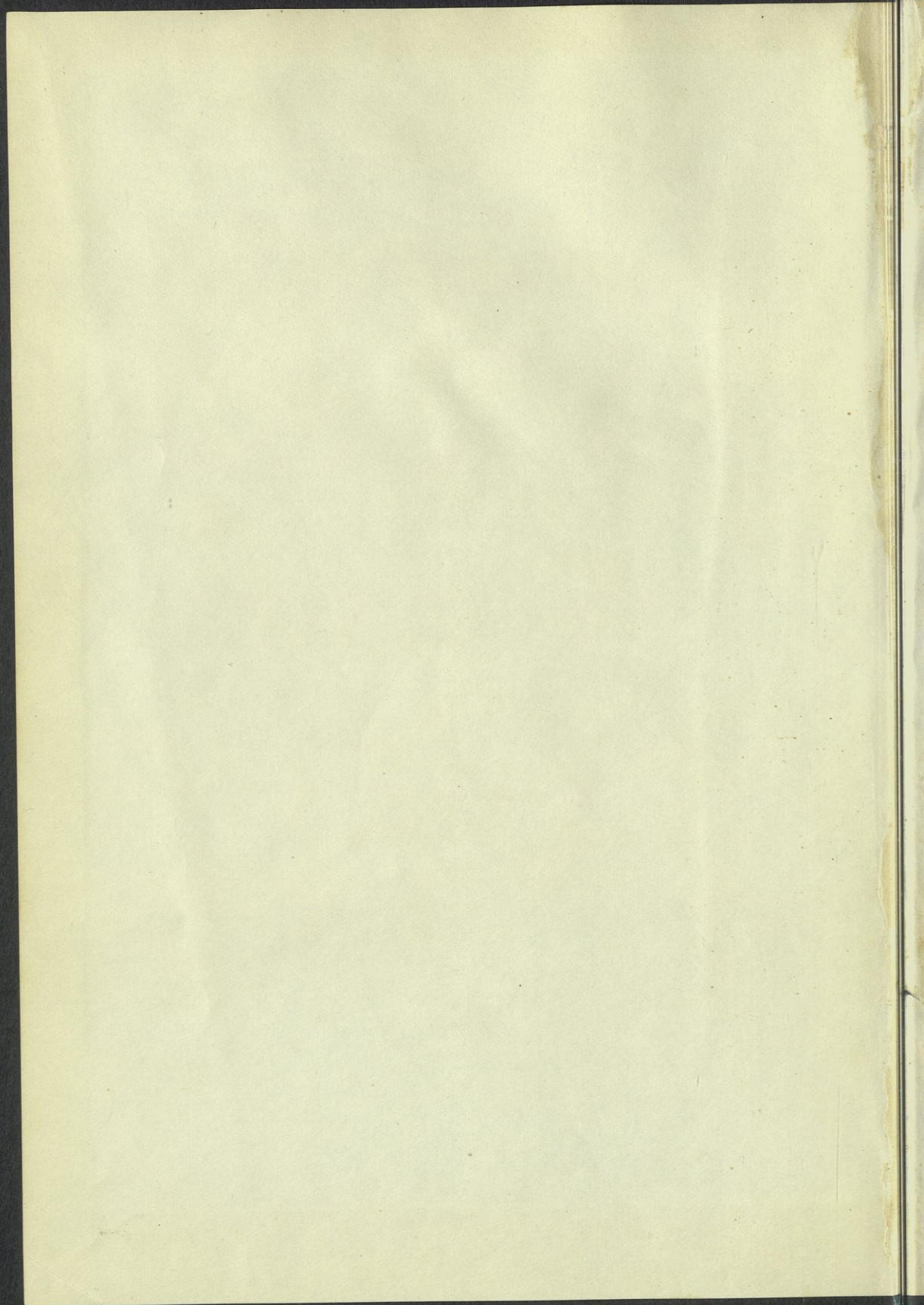
*
لو طُلبَ إلى الناس أن يحدفوا اللغو وفضول القول من كلامهم ،
لكاد السكوت في مجالسهم يحلَّ محلَّ الكلام . ولو طُلبَ إليهم أن
ينقوا مكاتبهم من تافه الكتب وعقيمها ، وألا يدخروا فيها إلا القيم
العبرى من الأسفار ، لما بقى لهم من كل ألف رف إلا رف .

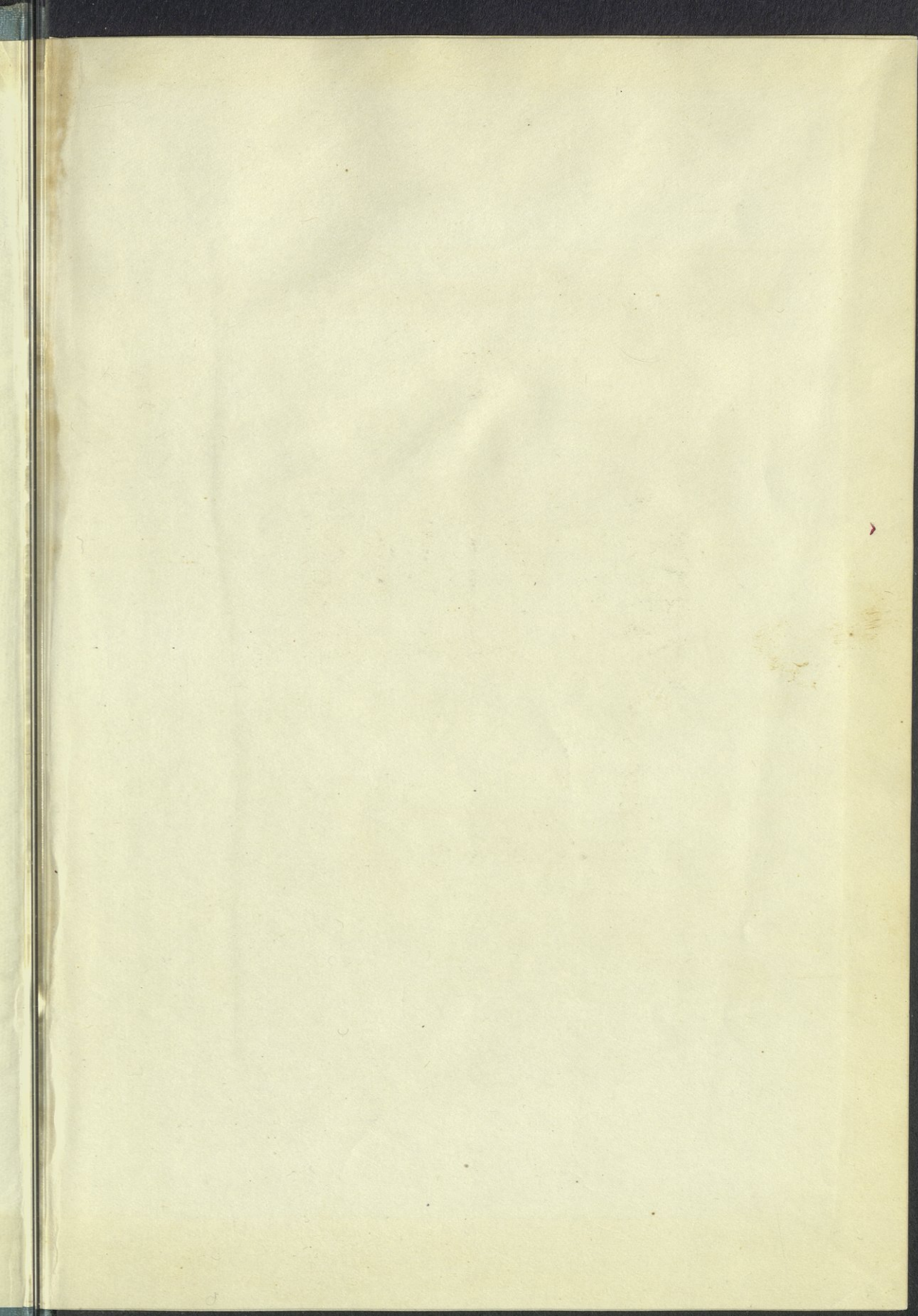


فهرس

صحيفة	صحيفة
٣ مقدمة	٧٧ اليوم
٦ الحقيقة	٧٨ الفد
١٠ الوطن	٨٠ المسجد الحرام
٢٠ الجندي المجهول	٨٤ الشهادة
٢٧ قاة السويس	٨٦ الصلاة
٣٧ الذكرى	٨٩ الصوم
٤٢ الشمس	٩٠ الزكاة
٤٥ الموت	٩١ الحج
٥٠ دعاء الصلاة العامة	٩٣ خطيب المساجد
٥٣ الشباب	٩٥ الطلاق
٥٦ الخير	٩٦ البحر الأبيض المتوسط
٥٧ الظلم	١٠٢ صفة القاضي
٥٨ انقلاب	١٠٣ صفة الأسد
٥٩ الذكرى	١٠٥ الأسد في حديقة الحيوانات
٦١ شاهد الزور	١١٠ الجمال
٦٢ الصبر	١١١ الأمومة
٦٣ شهادة الدراسة وشهادة الحياة	١١٣ السكاتب العمومي
٦٥ الحياة	١١٣ الحياة وهم ولعب
٦٧ الحياة أيضاً	١١٤ العلم
٦٨ الحياة أيضاً	١١٥ السجع
٦٩ اللسان	١١٦ النقد
٧٠ البيات	١١٧ الزهرة
٧٢ المال	١١٨ الساقية
٧٤ الأهرام	١١٨ الشيخ المهنم
٧٦ الأمس	١١٩ خواطر







892.74:Sh532

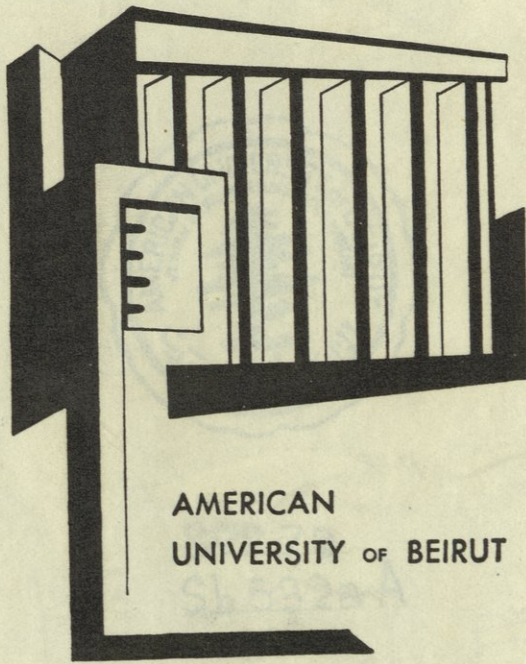
شوقي، احمد

اسواق الذهب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039228



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

